# الخديعة

صلاح قبضايا




قطاع الثقافة

# كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد أكتوبر ١٩٩٨ □

## أسعار كتاب اليوم في الخارج

| | | |
|---|---|---|
| الجماهيرية العظمى | ٢ | دينار |
| المغرب | ٢٠ | درهما |
| لبنان | ٤٥٠٠ | ليرة |
| الأردن | ٢٠٠٠ | فلس |
| العراق | ٧٠٠٠ | فلس |
| الكويت | ١,٥ | دينار |
| السعودية | ١٢ | ريالاً |
| السودان | ٣٢٠٠ | قرش |
| تونس | ٢ | دينار |
| الجزائر | ١٧٥٠ | سنتيما |
| سوريا | ١٢٥ | ل. س |
| الحبشة | ٦٠٠ | سنت |
| البحرين | ١,٢٥٠ | دينار |
| سلطنة عمان | ١,٢٥٠ | ريال |
| غزة | ٢,٥٠ | دولار |
| ج. اليمنية | ١٥٠ | ريالاً |
| الصومال، نيجيريا | ٨٠ | بنى |
| السنغال | ٦٠ | فرنكا |
| الإمارات | ١٢ | درهما |
| قطر | ١٢ | ريالا |
| انجلترا | ٢ | جك |
| فرنسا | ١٠ | فرنكات |
| ألمانيا | ١٠ | ماركات |
| إيطاليا | ٢٠٠٠ | ليرة |
| هولندا | ٥ | فلورين |
| باكستان | ٢٥ | ليرة |
| سويسرا | ٤ | فرنكات |
| اليونان | ١٠٠ | دراخمة |
| النمسا | ٤٠ | شلنا |
| الدنمارك | ١٥ | كرون |
| السويد | ١٥ | كرون |
| الهند | ٣٥٠ | روبية |
| كندا - أمريكا | ٣٠٠ | سنت |
| البرازيل | ٤٠٠ | كروزيرو |
| نيويورك - واشنطن | ٣٥٠ | سنتا |
| لوس انجلوس | ٤٠٠ | سنت |
| استراليا | ٤٠٠ | سنت |

### • الاشتراكات •

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

### • البريد الجوى •

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

• ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

• ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ ( أ ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ ( ٥ خطوط )

• فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

• تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

• تلكس محلى : ٢٨٢

• قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

• تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

# ١

## خطة عبور المستحيلات الثلاثة

١- جبهة طولها ١٧٥ كيلو مترا
ومانع مائي بعرض ٢٠٠ متر مغطى باللهب العائم
٢- ساتر ترابي على حافة القناة
بارتفاع ٢٥ مترا وزاوية ميل ٤٥ درجة
٣- اقتحام ٢٢ موقعا حصينا
و٣١ نقطة مبطنة بألواح الصلب ومحاطة بالألغام

• الاسترخاء العسكري في إسرائيل
بدأ بقرار مصر الاستغناء عن الخبراء

• دورية مصرية تتسلل إلى مواقع العدو
للحصول على حفنة من التراب

قبل أن تكتمل الساعة السابعة من مساء الأحد ١٦ يولية ١٩٧٢ بتوقيت القاهرة دقت أجراس أجهزة وكالات الأنباء «التيكرز» داخل قاعات التحرير فى كل صحيفة وإذاعة ومحطة تليفزيون لتنقل الى العالم كله ـ وبجميع اللغات ـ قرار الحكومة المصرية الاستغناء عن الخبراء السوفيت الذين يعملون داخل وحدات القوات المسلحة المصرية.

واختلفت ردود الأفعال في كل مكان.. لكن رد الفعل داخل اسرائيل كان يتخذ مسارا آخر. وقدمت البرامج السياسية والاخبارية فى إذاعة وتليفزيون اسرائيل عدة أحاديث وتعليقات وندوات حول هذا الحدث المفاجىء الذى لم يكن هناك من يتوقعه.

وفى القناة الأولى للتليفزيون الاسرائيلى أدارت «راحيل هيرتزوج» المذيعة ومعدة البرامج السياسية ندوة طويلة شارك فيها كبار الصحفيين الاسرائيليين وعدد من السياسيين الذين يعارضون الحكومة الاسرائيلية ومنهم أحد قيادات حزب «الرافى» ومعه المعلق السياسى شاريت ايتان.

واختلفت الآراء والتعليقات فى هذه الندوة السياسية. كان

بعضهم يرى ان قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت يؤكد اتجاهات مصر نحو التسوية السلمية دون حرب وانها تعمل على تشجيع الرئيس الأمريكى للقيام بدور أكبر من أجل التسوية السلمية. واعتبر أحد المحللين ان هذا الاجراء هو نوع من الترضية للعناصر العسكرية فى مصر التى ضجت بالشكوى من السوفيت ولا تجد لوجودهم أى جدوى، وان هذا التيار يتزايد ويتزعمه وزير الحربية نفسه - الجنرال محمد صادق - الذى لا يخفى عداءه للسوفيت ويشكك فى نواياهم ويجاهر بذلك.

كان هذا هو رأى بعض المحللين..

فى حين كان أحد رؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية يرى ان الاستغناء عن الخبراء السوفيت أصبح أمراً ضرورياً لارضاء بعض الدول العربية التى تقدم المساعدات والقروض لمصر وتخشى من وجود عناصر شيوعية فوق الأرض المصرية.

وفى هذه الندوة قال أحد قادة أحزاب اليمين الاسرائيلى « آلن جولدمان » : إنه يرى فى قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت مجرد قرار سياسى دعائى للاستهلاك المحدود وانه لن ينعكس كثيراً على مجالات التعاون المصرى - السوفيتى، وان هذا التعاون سيستمر حتى بعد عودة الخبراء السوفيت الى بلادهم.

وعارض صاحب هذا الرأى باقى المشاركين فى ندوة «راحيل» وما أجمعوا عليه من أن مصر وسائر الدول العربية لا تستطيع خوض حرب جديدة فى مواجهة الخطوط الدفاعية القوية التى

أقامتها اسرائيل والتى اشتهرت باسم خط بارليف.. نسبة إلى الجنرال حاييم بارليف صاحب الفكرة والمخطط الأصلى لبناء خط دفاعى ثابت على ضفة القناة الشرقية.

وقال جولدمان : إنه لا يجب على زعماء اسرائيل أن يصدقوا ويكرروا الكلمات التى يتشدق بها العسكريون الاسرائيليون الذين لجأوا إلى الراحة والاطمئنان والترهل وبداوا يبحثون عن تعويض لحياة التقشف التى عاشوها من قبل. ولذلك خصصوا لأنفسهم السيارات الفارهة ودخنوا السيجار الفاخر واتجهوا إلى جمع المقتنيات والقطع الأثرية وغرقوا فى قصص الحب والغرام.

وكان من الواضح أن المتحدث يقصد بهذا الكلام ـ تحديداً ـ الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى الذى كان قد انفصل عن زوجته ـ السيدة روت شوارتس ـ منذ شهور قليلة ليعيش مع فتاة أخرى وعدها بالزواج، ومعروف عنه هواية جمع الآثار والتنقيب عنها.

وهذا ما دفع المذيعة راحيل إلى التدخل لتوجه الحديث وجهة أخرى وتطرح سؤالاً عن إمكانيات العرب العسكرية وهل سيضطر العرب إلى الموافقة على شروط السلام الإسرائيلية.

واندفع المتحدث نفسه ليقاطع الآخرين وليؤكد استحالة بقاء التفوق العسكرى الإسرائيلى إلى الأبد بين مائة مليون عربى مقابل ثلاثة ملايين إسرائيلى. وقابل بسخرية بالغة آراء الذين اعتبروا خروج الخبراء السوفييت بمثابة تأكيد على عدم قدرة العرب على القتال.

ومـصـداقـيـة هذا الكلام كـانت تنعكس فى تلك الـلحظة على ما يجرى بسرية تامـة على الجانب الآخر من أرض الصراع.. على الجانب الغربى من قناة السويس.

كانت سـيارة صغيـرة من طراز «فيات» تتـجه إلى باب معـهد تحليل التربة فى القاهرة وبداخلها الرائد فاروق فى ملابس مدنية متجها إلى مكتب المدير بناءً على موعد سبق تحديده منذ ساعات. وكانت بجواره حقـيبة جلدية سوداء من حقائب السفـر الصغيرة حرص على حملها بنفسه إلى مكتب المدير.

وفوق طاولة الاجتماعـات فى مكتب الدكتور حسنى فتح الرائد فاروق الحقيبة بعناية بالغة ليخرج منها خمسة أكياس صغيرة من الخيش مليئة بالرمال.

وفى كلمات قليلة واضحـة شرح الرائد فاروق المطلوب، وقدم خطاباً موجهاً من مـحافظة البحيرة إلى معـهد تحليل التربة تطلب فيـه المحافظـة إجراء فحص كـامل وتحليل لهذه الرمـال وتحديد مكوناتها بدقـة ومدى تأثرها بالأثقـال مع اختلاف كـثافتـها وأثر المتفجرات عليها.

وكان من الطبـيعى أن يثير ذلك حب الاستطـلاع لدى الدكتور حسنى. ولم يترك الرائد فاروق الأمر للخيال والاستنتاج وأكد انه سيشرح سر هذه المهمة. إن قوات الدفاع الجوى تستخدم سواتر ترابيـة من هذه الرمـال وتريـد أن تدرس مـدى تأثرها بـنيـران الطائرات المعادية وبأنواع الطلقات والقنابل والعـمليات التخريبية. وأكد المتـحدث ثقة القوات المـسلحة فى الدكتور حـسنى ورجاله

وقدرتهم على حفظ هذا السر الخطير..

وكان ذلك أقوى دافع لـوحدة أبحاث التربة على التـحمس لهذا العـمل الوطنى الكبيـر. ولم يتـأخر مـدير الوحـدة لحظة واحـدة وانطلق إلى داخل المـعـامل ليـقـوم بتـوزيع عـينات الرمـال على الباحثين ويكلف كلا منهم بتحليل العـينة وتحديد مكوناتها تمهيداً للوقـوف بدقـة على مدى تأثـرها بالمواد الـكيمـاوية وبالطلقـات والمتفجرات المختلفة مع تغيير درجات كثافتها.

ولم يكن الدكتور حسنـى ـ ولا أحد من رجاله ـ يعرف أن هذه الأتربة هى عينـات من الساتر الترابى الذى أقـامتـه إسرائيل على الضفـة الشرقـية لقناة السـويس أمام نقـاطها الحصـينة فى خط بارليف لتعوق تقدم أى قوات مصرية تحاول عبور القناة.

وأيضاً.. لم يكن أحد منهم يعرف أن هذه العـينات قد عادت بها دوريات الاستطلاع المـصرية بعد منتـصف ليلة الأمس من شرق القناة وأن عينات أخرى مـماثلة تم إرسالها إلى المعـامل المركزية للقوات المـسلحة وإلى معـامل الكلية الفنية العـسكرية لتتم فيـها نفس عـمليـات تحديد الـمكونات وتحليلهـا ودراسة مـدى تأثيـر النيران والمواد الكيماوية عليها.

وكل من شارك فى ذلك كـان يتصور أنه يقوم بتـحليل عينات الأتربة التى تستـخدمهـا قوات الدفـاع الجوى المصـرى فى عمل سواتر ترابية.. ولم يخطر ببال أحدهم انها جاءت من شرق القناة. وربما كان ذلك هو تصور الرائد فاروق أيضا..

لكن هيئة العمليات كانت وحدها تعرف الحقيقة. وهذا ما دارت

المناقشات حوله ضمن عشرات النقاط الأخرى التى تضمنها جدول أعمال فرع التخطيط بهيئة العمليات عند اجتماعها فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة نصر فى هيئة حلقة بحث يرأسها اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، وحضرها سبعة ضباط هم أعضاء فرع التخطيط بهيئة العمليات ورتبهم بين مقدم وعميد.

.. وقف اللواء الجمسى أمام خريطة قناة السويس وبدأ فى شرح الموقف كما يبدو طبقاً لآخر استطلاع تم منذ ١٢ ساعة. ولم تكن كل هذه المعلومات جديدة ولكنها كانت تتكامل لتجسد صورة الموقف على الجبهة.

إن عبور المدافع المائية كان دائماً أشق العمليات العسكرية وأعقدها وأكثرها فداحة فى الخسائر. وهناك جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديماً وحديثاً ففشلت وأصابتها الكوارث. والبعض يرى أن الموانع المائية قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات المائية. لكن قناة السويس مانع فريد يختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى لعدة أسباب:

- يتراوح عرض القناة ما بين ١٨٠ و٢٢٠ متراً وطولها يصل إلى ١٧٥ كيلو مترا ويتراوح عمقها ما بين ١٦ و١٨ متراً وينخفض سطح المياه عن حافة الشاطىء بحوالى مترين. وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات التقليدية لا عوماً ولا خوضاً ولا سيراً على القاع.

- يحد القناة شاطىء شديد الانحدار مغطى بستائر أسمنتية

وحديدية تمنع نزول وصعود المركبات المائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة. وهى صفة تتفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم باستثناء قناة واحدة هى قناة بنما.

- تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر فيختلف منسوب المياه تبعاً لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات فى اليوم الواحد. ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمتراً فى شمال القناة بينما يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل إلى المترين قرب مدينة السويس. ولمثل هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العبور والأعمال الفنية الخاصة بإقامة المعديات وإنشاء الكبارى.

- هناك عامل مهم له تأثيره على العبور وهو سرعة التيار واتجاهه لأن القناة تتميز بشدة التيار وسرعته التى تبدأ من ١٨ متراً فى الدقيقة بالقطاع الشمالى وتصل إلى ٩٠ متراً فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى. وفضلاً عن ذلك فإن اتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال إلى الجنوب والعكس.

ويوجد على الضفة الشرقية للقناة ساتر ترابى من ناتج حفرها وتطهيرها يتراوح ارتفاعه من ستة إلى عشرة أمتار. وقد أوحى هذا الساتر الترابى للعدو أن يستغله فى إقامة خط دفاعى محصن على امتداد القناة، فقام بتعليته حتى وصل فى بعض القطاعات إلى ٢٥ متراً ارتفاعاً.

وفى جوف هذا الساتر الترابى الكبير أقام العدو عدة نقاط

حصــينة بذل فى بنائها جهـداً ضخمــاً وأموالاً وفيرة واســتخلص الخـبرات المكتـسـبة من مـسارح الحـرب المـعاصـرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها وطبقها على خط بارليف.

وأراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة الســويس سداً منيـعاً يحـول بين جيش مـصر وأرض مصـر فى سيناء، فلم يكتف برفع الساتر الترابى رأسياً بل قام بإزاحته غرباً حتــى لامس حافـة القناة تمامــاً بزاوية ميل تزيد علــى ٤٥ درجة ليضع أمام المقاتل المصرى مزيداً من العقبات وينمى في وجدانه شعوراً بالعجز واليأس.

وأقــام داخل هذا الســاتر وفـوق قمـتـه وإلى الخلف منه عـدة خطوط دفاعـية محصنة تشكل فــى مجموعـها منطقة دفاعـية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ.

وقــد أطلق اســم «خط بارليف» على الخط الأول مـنهــا والذى تكلف انشــاؤه ٢٣٨ مليون دولار أى ما يقــرب من نصف تكاليف السد العالى.

ويتكون خط بارليف من ٢٢ مـوقـعاً حـصـيناً تضم ٣١ نقطة قوية تبلغ مساحة كل نقطة منها حـوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عـبارة عن منشــأة هندسيـة معـقدة تتكون من عـدة طوابق تغـوص فى باطـن الأرض وتعلو حـتى تصل إلى قـــمـة الســاتر الترابى.

ويتكون الطابق الـواحد من عـدة دشم من الأسـمنت المـسلح المقوى بالقضبــان الحديدية وألواح الصلب ويفصل كل طابق عن

الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين.

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات، فضلاً عن دشم أخرى مجهزة لأسلحة المدفعية والدبابات. وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمل. ووفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقاط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ألف رطل أو أكثر.

ولزيادة مناعة النقاط الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ متر بالإضافة إلى الشراك الخداعية التى تغطى ميول الساتر الترابى وقمته؛ كما جهز العدو بعض النقاط بخزانات الوقود ومواد النفط وسائل النابالم، وتخرج منها مواسير إلى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقاً لنظرية الأوانى المستطرقة فتغطى سطح القناة. وعندما تشتعل هذه السوائل تتحول مياه القناة إلى مسطح هائل من اللهب ترتفع ألسنته الحارقة لحوالى المتر وتزيد درجة حرارته على ٥٠٠ درجة مئوية.

وحرص العدو فى اختيار مواقع هذه النقاط الحصينة على أن تغطى الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتعوق تقدم قوات العبور إلى عمق سيناء. وتتبادل كل النقاط الحصينة فيما بينها المعاونة بالنيران، لتخلق بالإضافة إلى السد الترابى وحاجز اللهب

المشتعل سداً آخر من نيران الأسلحة المتوسطة والثقيلة خاصة بعد أن جهز العدو عدة مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول قناة السويس.

واستطرد اللواء الجمسى قائلا :

.. بذلك نرى أن قناة السويس وخط بارليف ليس مجرد مانع حصين فحسب بل هو مانع فريد ليس له مثيل فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله. وهذا ما دفع الجنرال ديفيد اليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلى إلى أن يقول: إن خط بارليف سيكون مقبرة للجيش المصرى.

وانتهى المؤتمر الذى ترك آثاره السلبية على بعض الضباط لكنه لم يقتل روح التحدى داخلهم. وكان لكلمات اللواء الجمسى أثرها فى تخفيف الآثار النفسية عند الرجال عندما قال لهم انهم جميعا مكلفون بوضع حلول عملية لمواجهة هذه المعضلات التى تجعل من العبور أمراً مستحيلاً. وباختصار مطلوب منا الآن ان نجعل عبور قواتنا المسلحة لهذا المانع المائى والاستيلاء على النقاط الحصينة لخط بارليف أمراً ممكناً ومستطاعاً بدلاً من أن يظل مستحيلاً.

وتم تكليف مجموعات الخداع الاستراتيجى بوضع خطط التعمية والخداع بحيث يرسخ لدى العدو استحالة تفكير مصر فى الحل العسكرى. كما أن أجهزة الدولة الأخرى ستقوم بأعمال المساندة المطلوبة بما فى ذلك شركات المقاولات المدنية.

وتم تلخيص المشاكل الأساسية التى تواجه العبور فى خمس نقاط رئيسية :

أولاً : طرق دفع القوات إلـي الممر المائى ووسائل عبوره، رغم وجود هذه المعوقات على ضفتى القناة ، بما فى ذلك الساتر الترابى الهائل شرق القناة.

ثانياً : وسائل اخماد النيران فوق سطح مياه القناة أو منع تسربها دون أن يشعر العدو بمحاولات تخريبها.

ثالثاً : مفاجأة العدو بعبور المجموعات الأولى من القوات وتأمينها ضد نيران العدو بمدفعيته ودباباته ورشاشاته.

رابعاً : كيفية ارتقاء الساتر الترابى الذى يبلغ ارتفاعه عشرين متراً.

خامساً : توفير أسباب نجاح قوات العبور المترجلة فى مواجهة دبابات العدو وعرباته المدرعة.

وأخيراً .. وبعد أن نصل إلى حلول ممكنة وحاسمة لهذه المعضلات يصبح أمام سائر الوحدات المقاتلة التدريب عملياً على الدور الذى تكلف به كل وحدة بصورة تبدو طبيعية ودون أن تلفت نظر العدو أو تقلل من فرصة خداعه وتحقيق المفاجأة الكاملة له.

وانتهى المؤتمر.. لكن مئات الرجال انطلقوا فى دراسة هذه المشاكل الهائلة التى تواجه فكرة العبور.. أو فكرة الحرب من أساسها.. وكان شعارهم هو كلمات مدير العمليات التى أنهى بها

اجتماعهم.. «لابد أن نجد الحلول.. ولابد أن ننجح.. ولا بديل عن الحرب».

وهذا ما تردد بعد ذلك فى اجتماع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى مبنى القيادة العامة ، قبل أن ينتقلوا إلى بيت الرئيس أنور السادات فى الجيزة حيث تولى رئاسة المجلس باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة..

٢

# البحث عن قنبلة ذرية

- عجلة الحرب بدأت في الدوران من بيت السادات في الجيزة
- كبار الضباط الذين عارضوا السادات وتآمروا عليه لمنع الحرب
- الخطة «بدر» تعتمد على الإمكانيات المتاحة وليس على الإمكانيات المطلوبة
- الجاسوسة الأمريكية في القاهرة ساهمت في خداع إسرائيل

المكان : منزل الرئيس أنور السادات المطل على نيل الجيزة بين كوبرى الجلاء وكوبرى الجامعة..

الزمـــان : الساعة الثامنة والنصف مساء يوم الثلاثاء ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ ويوافق إحدى ليالى شهر رمضان وبالتحديد ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ.

كانت الأحداث تبدو كأنها زيارة رمضانية أو دعوة إلى سهرة رمضانية فى بيت الرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة وهذا يؤكده حضور المدعوين بملابسهم المدنية وكان بينهم من يضع ملابس ثقيلة تحوطاً لتقلبات الليل بعد أن بدأ شتاء القاهرة مبكراً.

لكن الوقائع كانت تختلف كل الاختلاف عما يبدو فى ظاهر الأمر. لقد كان الحاضرون هم أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ورؤساء الأفرع الرئيسية ولم يكونوا مجرد زوار. وكان الرئيس السادات قد أصدر أمراً صباح اليوم نفسه باستدعائهم جميعاً لعقد اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

ضم الاجتماع الفريق أول محمد صادق (وزير الحربية) والفريق سعد الدين الشاذلى «رئيس أركان حرب القوات المسلحة» واللواء طيار محمد حسنى مبارك «قائد القوات الجوية»

واللواء بحرى محمود فهمى «قائد القوات البحرية» واللواء محمد عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وواحد من أبرز ضباط المدرعات» واللواء محمد محرز «مدير إدارة المخابرات الحربية» واللواء سعيد الماحى «قائد سلاح المدفعية» واللواء عبدالمنعم واصل «قائد الجيش الثالث الميدانى» واللواء على عبدالخبير «رئيس هيئة التدريب» واللواء نوال عامر «رئيس هيئة الامداد والتموين» واللواء سعد مأمون «قائد الجيش الثانى الميدانى».

وتولى اللواء الجمسى تسجيل وقائع الاجتماع الذى انعقد فى الصالون الكبير بالطابق الأرضى من منزل الرئيس.

ساد الصمت بين الجميع وكان البعض يستشعر خطورة هذا الاجتماع ، رغم انه يأتى بعد سلسلة متكررة من الاجتماعات المتتالية التى عقدها المجلس الأعلى للقوات المسلحة والمؤتمرات الأخرى التى رأسها وزير الحربية ، وكان آخرها صباح نفس اليوم عندما اتصل الرئيس بوزير الحربية ودعا إلى اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

وربما كان الصامتون يسترجعون ما دار فى الصباح أثناء «مؤتمر الوزير» أو يعدون الكلمات التى سيشاركون بها فى المناقشات وما أوحى به إليهم وزير الحربية صباحاً. لقد كانوا مجتمعين مع رئيس الأركان فى الساعة التاسعة صباحاً وهو المؤتمر المعتاد الذى يعقده رئيس الأركان مرة كل شهر. ولحظتها اتصل به الوزير وطلب عقد اجتماع بكل الحاضرين فى الساعة

الثانية عشرة ظهرا يحضـره جميع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وكان الهدف هو الاستماع لرأى القادة فى الموقف العسكرى قبل الاجتماع مع الرئيس السادات فى الثامنة والنصف مساءً.

وفى اجتماع الظهر بمكتب وزير الحربية تكلم الجميع. وتحدث كل عضو من أعضاء المجلس الأعلى عن المتاعب والمشكلات التى مازالت تواجهه.

وأنهى وزير الحربية الاجتماع قائلاً :

«كل ما أريده هو أن يقوم كل منكم بإعطاء صورة حقيقية عن الموقف - موقف قواته - أمام الرئيس هذا المساء . إن الرئيس يعتقد أننى أبالغ فى ذكر المشكلات ولذلك فإنه يريد أن يسمعها منكم شخصيا».

وهذا ما حدث بالفعل فى اجتماع الجيزة الذى بدأ فى الساعة التاسعة واستمر حتى منتصف الليل وشهد مناقشات ساخنة كادت تصل إلى حد المشادة فى وجود رئيس الجمهورية. ولم يكن أحد يتوقع أن يفقد بعض الحاضرين من كبار القادة منصبه نتيجة ما تكلم به أمام الرئيس.. كما لم يستشعر أحد أن عجلة الحرب بدأ إعدادها للدوران فى هذا الاجتماع عندما أطل الرئيس على الحاضرين من الباب الذى يفصل بين الحجرة وبين البهو الواسع المواجه للمدخل الرئيسى للبيت.

تقدم الرئيس مبتسماً مرحباً وقد بدت عليه ملامح الإصرار. كان يمسك بالعصا فى يده اليسرى وقد ارتدى بذلة من الصوف

الرمادى الداكن. واتجه لاستقباله الفريق أول محمد صادق الذى لم يكن يدرى أن هذا هو آخر اجتماع يحضره مع الرئيس وأنه سيفقد منصبه بعد ساعات ليحل محله أحمد إسماعيل وزيراً للحربية.

صافح الرئيس الفريق أول محمد صادق ليمر على باقى الرجال يصافحهم مردداً اسم كل منهم مسبوقاً بعبارة: أهلا يافلان..

وجلس الرئيس فى صدر الصالون وقد بدأ حديثه عن سهولة الصوم فى أيام الشتاء ، وكيف أن النهار القصير جعل الإفطار فى الخامسة والربع ، وهو موعد يقترب من موعد غداء الضباط الذين يعودون إلى بيوتهم بعد الثالثة عصراً.

وكانت أكواب التمر هندى وقمر الدين تطوف على الجالسين عندما نظر الرئيس إلى سكرتيره الخاص فوزى عبدالحافظ قائلاً: خلاص يافوزى.

وأغلق فوزى الباب وراءه بعد أن انسحب السفرجى دون أن يحمل معه الأكواب الفارغة.

وتحولت الجلسة إلى اجتماع رسمى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية برئاسة رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات. وقام اللواء محمد عبدالغنى الجمسى بكتابة محضر الاجتماع الذى جاء فى بدايته قول الرئيس السادات : باسم الله نبدأ جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وتحدث الـرئيـس فى البـداية عن الموقـف السياسـى العام والعـلاقـــات المـصـرية ـ الســــوفيـتـيـة قـائلاً : نحن الآن أمــــام امـتـحــان صـعب .. أن نـكــون أو لا نكون .. وقـالهـا الرئيـس بـالإنجليـزية To Be Or not to Be لأن الجـمـيع والعـدو والصـديق لا يثق بأننا سنقـاتل ولذلك فـإن الحلول التى تعـرض علينا كلها من منطلق أننا لن نحارب.

ورحــلاتى إلى الاتحــاد الســوفيتى فى مـــارس ٧١ وأكتـوبر ٧١ وفبـراير ٧٢ كانت بناءً علـى طلبى. لكن رحلتى فى أبريل ٧٢ كانت بناءً على طلب القيـادة السياسية السوفيـتية. وقلت لهم فى أبريل إن القـضـية لن تتـحـرك سيـاسـياً إلا إذا أمكن تـحـريكهـا عسكرياً ، وأن إعـداد الهند للحرب ضد باكـستان استـغرق منهم سـتـة أشهـر. ويمكنهم أيضــاً أن يفعلوا الأمـر نفســه مع مـصـر. وعنـدمـا حضـر المـارشـال جريشكو فى مـايـو أرسـلت مـعـه كـتاباً إلى القيادة السياسية الســوفيتية وأخبرتهم بصراحة بأننى لا أقبل بقــاء أية وحدات سوفـيتية فى مـصـر ليست تحت القـيادة المصرية.

وعندمــا تدخل الرئيس حافـظ الأسد لتـحسـين العلاقـات بين مصر والاتحــاد السوفيتى وســافر سراً إلى هناك وجد الـسوفيت على استـعداد لتحسين العـلاقات. ولذلك سافر عـزيز صدقى إلى مـوسكو ودخل مـعهم فى منـاقشـات عنيـفة ، أكـدوا بعـدها أن سياستهم تجاه مصر لم ولن تتغير على الرغم من قرار إنهاء عمل المسـتشارين الروس فى مـصر. وقد أخطروا عـزيز صدقى بأن

علاقتهم معنا والتزامهم بإمدادنا بالسلاح لن يتأثر نتيجة الاتفاق الودى الذى عقد بينهم وبين أمريكا.

لكنهم قالوا أيضاً لعزيز صدقى: لو كنا فى مثل موقفكم لقاتلنا لتحرير أرضنا حتى لو لم يكن لدينا سوى البنادق. ولذلك فأنا أطالبكم بإعداد خطة هجومية وتحديد مواعيد تنفيذها طبقاً لما بين أيدينا من إمكانيات وليس حسب ما يفترض وجوده.

وعلق بعض القادة على حديث الرئيس وتكلموا عن الساتر الترابى الذى أعده العدو بارتفاع ٢٠ متراً وجعله متصلاً بحافة القناة . وقال اللواء عبد المنعم واصل إن ذلك يجعلنا نتوقع خسائر كبيرة ، كما أنه يتيح للعدو كشف مواقعنا وكل تحركاتنا.

وتجاهل الرئيس هذا التعليق عندما استطرد مؤكداً ان علينا أن نضع الخطة التى تعتمد على ما يتوافر معنا وليس على المفروض توافره.

لقد قال بعضهم : إن إزاحة الساتر الترابى وضرب النقاط الحصينة أمام قواتنا عندما تعبر يتطلب قنبلة ذرية.. وإنه بدون القنبلة الذرية ستتحطم موجات العبور وستدفن تحت الساتر الترابى بين مياه القناة ونقاط خط بارليف.

وربما لا يعرف كثيرون أن هذا الكلام تردد بصورة جدية بين الأخ معمر القذافى والرئيس عبدالناصر ـ الله يرحمه ـ وكانوا

يقـولون إن الحل السلمى هو المـمكن الوحـيد فى غـيـاب القنبلة الذرية العربية.

والرائد عـبدالسـلام جلود كـان قد جـاء إلى مصـر فى زيارة سرية واجـتمع بالرئيس عـبدالناصـر ـ الله يرحمـه ـ وقال له ان ليبـيا تنوى شـراء قنبلة ذرية وإنه سيـذهب للتفـاوض على شراء القنبلة من الصين.

ويومـها قـال عبـدالناصر ان القنـابل الذرية ليست أبداً سلعـة معـروضة للبـيع. لكن جلود سافـر متنكراً إلى الصـين عن طريق باكستان وبجـواز سفر غير ليبى واجـتمع مع شواين لاى وطلب منه قنبلة ذرية تكتيكية صغيرة مع استعداد ليبيا لدفع ثمنها.

وطبعـاً شواين لاى فوجئ بالطلـب.. ورد بطريقة مهـذبة بما يفـيـد أن الدولة التى تريد قنبـلة ذرية يجب أن تصنعـهـا بأيدى أبنائها وأن تعتمد فى ذلك على نفسها.

وأنا أقـول لكم بصـراحـة ان المتـوافـر لدينا الآن من سـلاح ومعدات وتجهيزات هى التى سندخل بها المـعركة، وعليكم جميعاً أن تضعوا خطة هجـومية لا تعتمد على شىء آخـر سوى ما معنا من سلاح.

وأنا طلبت الاجـتمـاع بكم لاستـمع إلى المشـاكل والمعـوقات ونحاول أن نذللها معاً ونضع الأسلوب المناسب لمواجهتها.

وطبعاً القرار الذى أصـدرته العام الماضى ـ منذ سنة بالضبط ـ فى أكتـوبر ١٩٧١ لا يزال قائماً وهو القـرار الخاص بأن أتولى

عمل القائد العام للقوات المسلحة بنفسى. ولذلك طلبت من الوزير أن نناقش معاً المشكلات القائمة وأن أسمع منكم مباشرة.

لكن قبل ذلك أحب أن أضعكم فى الصورة..

إن اجتماع اليوم سيعقبه اجتماعات أخرى مع الخارجية والداخلية والتموين والإعلام وجهاز المخابرات العامة، وسأبحث مع كل جهة قرار الحرب على كل المسارات بالإضافة إلى بحث المسار السورى والمسار العربى والدولى. وسنحدد موقف الجبهة الداخلية والتموين وخطوات حشد الرأى العام الداخلى بالإضافة إلى المساندة العربية والعالمية.

وعلى المسار العسكرى نجحنا فى التحول إلى الهجوم. وقد تابعت معكم المشروع الهجومى منذ بدايته، والمطلوب الآن هو أن يكون واضحاً للجميع أن خطة الهجوم لابد أن تستكمل بالأسلوب الذى يناسب ما بين أيديكم.

وكانت هذه الكلمات تشكل نوعاً من الصدمة لبعض القيادات العسكرية التى ضمها هذا الاجتماع.

لقد كان حديث السادات يعنى تحديداً دقيقاً لأسلوب التحرك الاستراتيجى.. وربما أجهض ذلك معظم ما كان سيخوض فيه المجتمعون حول المشاكل القائمة والصعوبات التى تواجهها القطاعات المختلفة.

وقد تضمن حديث الرئيس رداً على ما كان يتردد حول استحالة ضرب النقاط الحصينة فى خط بارليف وإزالة الساتر

الترابى شرق القناة بدون قنبلة ذرية.

لكن رد الفعل كان سلبياً على البعض - خاصة وزير الحربية الفريق أول محمد صادق - ولم تمض ٤٨ ساعة على هذا الاجتماع حتى صدر قرار بإعفاء محمد صادق وتعيين الفريق أحمد إسماعيل على وزيراً للحربية، وإعفاء اللواء بحرى محمود على فهمى قائد القوات البحرية وتعيين اللواء فؤاد ذكرى قائداً للبحرية، كما شملت حركة الاستبعاد كل من أبدى عدم اقتناع بكلام الرئيس وبحتمية الحرب وهم الفريق عبدالقادر حسن واللواء على عبدالخبير واللواء محمد محرز مدير إدارة المخابرات الحربية وتعيين اللواء فؤاد نصار بدلاً منه.

وقد تم القبض على اللواء على عبدالخبير وبعض الضباط ومنهم عناصر بالمخابرات الحربية يشكلون معاً تنظيماً سرياً يسمى « إنقاذ مصر » ، ويهدف إلى القيام بانقلاب عسكرى والاطاحة بالرئيس السادات. وكانت الخطة تعتمد على مهاجمة مكان الاحتفال بزفاف كريمة سعد الدين الشاذلى - ناهد - الذى سيحضره الرئيس السادات وكبار قادة وضباط القوات المسلحة يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٢ واعتقالهم جميعاً.

وقد كشفت التحقيقات عن أن المتآمرين كانوا يتحركون من منطلق وطنى لأنهم كانوا يظنون أن هناك قوى معادية تدفع مصر دفعاً إلى الحرب دون استعداد بقصد القضاء تماماً على القوات المسلحة المصرية وإجهاض كل محاولة لاسترداد سيناء ونشر الفوضى فى البلاد.

ولم يكن الفريق صادق مشاركاً فى المؤامرة لكنه كان يعتقد أن الشيوعيين يهدفون إلى دفع مصر للحرب لتعم الفوضى ويسيطروا هم على مقدرات الشعب المصرى.

وشاء القدر أن تتكشف أبعاد المؤامرة من خلال ضابط صغير فى المخابرات الحربية علم بوجود اجتماعات سرية يرأسها اللواء على عبدالخبير وأبلغ بها أحد أقاربه لينقلها إلى الرئيس السادات. وتم القبض على هؤلاء الضباط وقدموا إلى المحاكمة العسكرية.

وبهذه التعيينات الجديدة.. وباستبعاد المعارضين لفكرة الحرب بواسطة ما يتوافر من سلاح ومعدات.. بدأ الإعداد لدوران عجلة الحرب على مدى عشرة أشهر كانت تجرى خلالها عمليات تمويه وخداع استراتيجى تمهد لحلقات أخرى من الخداع التكتيكى الذى سبق ساعة الصفر بأسابيع قليلة أو بأيام محدودة.. لتكتمل فى النهاية خيوط الخديعة الكبرى التى صنعت المفاجأة فى أكتوبر ١٩٧٣.

وعلى الجانب الآخر من أرض الصراع كان العدو الإسرائيلى ينظر للأمر من زاوية أخرى تؤكد عدم جدية مصر فى الهجوم. ورسخ ذلك فى وجدان القادة العسكريين هناك.

وهذا ما عبر عنه المشاركون فى الندوات واللقاءات التليفزيونية التى بثها تليفزيون إسرائيل وفى أحاديث السياسيين والعسكريين الإسرائيليين وتصريحاتهم للصحف المحلية والأجنبية.

فقبل أسابيع قليلة من إجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

فى بيت الرئيس السادات تم تسريح ٣٠,٠٠٠ (ثلاثين ألف) مجند مصرى وإحالتهم إلى الاحتياط. وكان هذا الإجراء يمثل مفاجأة هائلة خاصة أن جميع المجندين الذين شهدوا أحداث يونيه ٦٧ بقوا فى الخدمة لسنوات طويلة إلى أن تم تسريح الثلاثين ألفا فى يولية ١٩٧٢..

ورأى الإسرائيليون فى ذلك مؤشراً من مؤشرات اليأس عند المصريين دون أن يتنبهوا إلى أن الجنود المسرحين كانوا من غير حملة المؤهلات ومعظمهم من العاملين فى مواقع غير قتالية وليس منهم من يشارك فى الوحدات الضاربة.

كما تلقفت أجهزة تحليل المعلومات فى إسرائيل النكات التى انتشرت فى مصر عن الضباب الذى يحول دون محاربة إسرائيل.

وقصة الضباب بدأت عندما أعلن الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧١ أن هذا العام - أى ١٩٧١ - هو عام الحسم وان القضية سيتم حسمها حرباً أو سلماً قبل بداية عام ١٩٧٢.. ورغم ذلك مضت شهور العام دون أن تنجح كل المحاولات والمبادرات السياسية وأصبح الناس يتوقعون الحرب قبل نهاية ديسمبر.

وفى بداية ديسمبر - وبالتحديد يوم ٣ ديسمبر ١٩٧١ - اندلعت الحرب الهندية - الباكستانية وكان السوفييت مشغولين بدعم الهند فى مواجهة باكستان التى كانت تحظى بالتأييد الأمريكى.

ومع بداية يناير ٧٢ تحدث الرئيس السادات ليبرر مضى عام الحسم دون حسم. وقال إن «الضباب» حال دون قيام مصر

بالهجوم، وإن نشوب الحرب فى شبه القارة الهندية جعل المسرح العالمى غير متقبل للحرب في الشرق الأوسط ، وأن السوفييت توجهوا بكل ثقلهم نحو تأييد الهند.

وروى قصة «الضباب» مع الرئيس جمال عبدالناصر عندما أمر يوماً القوات الجوية بضرب قوات العدو المتمركزة شرق القناة، لكن الطائرات واجهت ضباباً كثيفاً يحجب الرؤية فعادت إلى قواعدها دون أن تقوم بتنفيذ المهمة. وعاد الرئيس عبدالناصر يصدر أوامره بأن تقوم الطائرات بمهمتها بعد ساعة أو ساعتين. لكن الضباب لم ينقشع ولم تتمكن الطائرات من تنفيذ المهمة.

وتكرر ذلك للمرة الثالثة عندما حال الضباب أيضاً بين الطائرات وبين قذف مواقع العدو شرق القناة، مما اضطر الرئيس عبدالناصر إلى إلغاء الأمر قائلاً : «ربنا مش عايزنا نقوم بهذه الضربة».

وبعد أن روى الرئيس السادات هذه القصة أعلن ان الضباب حال دون أن يكون العام ٧١ هو عام الحسم ونشوب الحرب بين الهند وباكستان هو أيضاً شكل من أشكال الضباب.

وانطلقت النكات حول الضباب وقصته. وكان من بينها نكتة تقول إن الرئيس أنور السادات اصدر أمراً بأن يكون عام ٧٢ هو امتداد للعام ١٩٧١ وأن يسمى ٧١ بشرطة أو عام ١٩٧١ مكرر.

ورغم ذلك كان تراجع السادات يدعم عمليات الخداع والتمويه الاستراتيجى سواء قصد إلى ذلك أو لم يقصد. وكان من المفيد أن يشعر العدو بعدم جدية مصر فى الحرب ، بشرط الا ينعكس

ذلك على القادة وعلى القائمين بالتخطيط للعبور.

ولعب قرار الاستغناء عن الخبراء السوفييت نفس الدور لكنه كان دوراً مزدوجاً لأنه وضع القيادات العسكرية أمام مسئولياتها كاملة وضاعف من حماس ضباط العمليات، وفى الوقت نفسه أكد الإحساس لدى العدو بعدم جدية مصر فى الاستعداد للعبور.

وبقدر ما كان قرار تسريح ٣٠ ألف مجند فى يولية ١٩٧٢ مرحلة مهمة من مراحل الأعداء بقدر ما ساعد على خداع العدو ورسوخ مشاعر الاطمئنان والترهل فى وجدانه ووجدان قادته العسكريين والسياسيين على السواء.

والواقع أن الاستغناء عن هذا العدد الكبير من المجندين كان جزءاً من تطوير خطة التعبئة العامة في مصر بعد قرار إيقاف نقل الجنود إلى الاحتياط الذى صدر عام ١٩٦٧، والذى كان له تأثيره على معنويات الأفراد بعد أن مضي عليهم فى التجنيد ما يقرب من ست سنوات، كما أنه يشكل عبئاً مالياً كبيراً دون جدوى لوجود معظمهم خارج التشكيلات المقاتلة، وفى مواقع خلفية ضمن أعداد كبيرة مخصصة لحماية العمق وحراسة المنشآت الحيوية.

وكان عدد الأفراد فى القوات المسلحة المصرية قد بلغ مع بداية عام ١٩٧٢ ما يقرب من مليون رجل مع انخفاض القدرة القتالية لنسبة كبيرة منهم وعدم توافر معدات وأسلحة تفى باحتياجات القوات العاملة. وكان نظام الاستدعاء يؤدى أحياناً إلى وجود قوات إحتياط مستدعاة يكلف أفرادها بأعمال غير مؤهلين لها وغير مدربين عليها.

وبقدر ما أفادت خطة تطوير التعبئة بقدر ما ساعدت على خداع العدو الذى استراح إلى قرارات تسريح الجنود المصريين ونقلهم إلى الاحتياط.

وفى الوقت نفسه كانت أجهزة التعبئة قد أدخلت نظام الاستدعاء بواسطة الكمبيوتر واستفادت من نظم الاستدعاء المطبقة فى كل من السويد وسويسرا وإسرائيل ، وهى نظم متطورة للغاية وتعتمد على أجهزة الكمبيوتر.

وشهدت الشهور الأولى من عام ١٩٧٣م الكثير من القرارات والتحركات التى ساهمت فى الخداع الاستراتيجى للعدو ومهدت لعمليات الخداع التكتيكى بعد ذلك.

لقد كان من المعروف أن هناك نقصاً فى عدد الطيارين. وبدأت الطلعات التدريبية للطيران تركز على العمل فوق الخطوط المصرية غرب القناة والتظاهر بالاتجاه نحو الدفاع عن المناطق الحيوية وإطالة خطوط طيران العدو من قواعده على قدر الإمكان .

وبدأت مصر فى إقامة مطارات جديدة لم يكن من المقرر لها أن تنتهى قبل عام أو عامين، مما يؤكد عدم استعداد المصريين للحرب.

ومن أمثلة ذلك البدء فى إنشاء مطارات فى بطن جبال البحر الأحمر بمعاونة خبراء* فى إقامة الأنفاق الجبلية. وبدأ بناء مطار النفق الجبلى فى مايو ٧٣ وكان القادة الذين يتجهون لزيارة

الجبهة يزورون هذا المشروع مؤكدين أهمية المطارات الجديدة فى الخطة الهجومية.

وبالطبع بدأت معركة العبور وانتهت قبل أن ينتهى مطار النفق الجبلى. وكانت التحركات المتكررة للوحدات المختلفة تشكل أيضاً لغزاً للعدو الذى لم يفهم الدافع وراء معظم تلك التحركات. لقد كان سلاح المهندسين يدفع فى النهار بمعدات العبور وببعض الجسور والكبارى فى اتجاه قناة السويس عند مواقع الجيشين الثانى والثالث الميدانيين ثم يعيد سحبها ليلاً. وكثيراً ما تحركت كتائب وألوية بالكامل شمالاً وجنوباً ومن الغرب إلى الشرق وبالعكس دون أن يكون لذلك سبب مفهوم.

ووقع العدو فى الفخ. وظن لعدة مرات أن هناك استعدادات حقيقية للعبور. وأعلن حالة الطوارىء أكثر من مرة ليكتشف أنه تحمل الكثير من الأعباء الإدارية والمالية والعسكرية دون جدوى.

وبدأ يرسخ فى وجدان القيادة المعادية أن هذه التحركات مجرد لعبة مصرية من ألعاب الاستنزاف، استناداً إلى اعتماد القوات الإسرائيلية الضاربة على نسبة عالية من أفراد الاحتياط، وان استدعاء الاحتياط يمثل عبئاً مزدوجاً على القيادات العسكرية فى إسرائيل وعلى القطاعات المدنية التى يقوم عليها أفراد الاحتياط.

وساعد ذلك علي تبرير التحركات العسكرية المصرية قبل أيام من معركة العبور وساهم فى إساءة تفسيرها من قبل القادة

الإسرائيليين. لكن الواقع أن هذه التحركات المصرية التى ظلت غامضة في نظر العدو، كانت تمثل حلقة فى سلسلة المشروعات التدريبية للوحدات المختلفة والتى توجتها مناورات خريف ٧٣ التى عرفت بأنها مشروع تدريبى تعبوى والتى أصبحت ظهر يوم السادس من أكتوبر خطة الهجوم «بدر» التى عبر بها أكثر من ٤٠ ألف رجل قناة السويس فى أقل من ست ساعات.

ولعب جواسيس إسرائيل فى مصر دوراً مكملاً فى خطة الخداع الاستراتيجى. وكانت جميع التقارير والمعلومات التى ينقلها جواسيس إسرائيل إلى قادة الموساد فى تل أبيب تؤكد عدم قدرة مصر على القيام بأى عمل هجومى.

وأوضح مثال لذلك الجاسوسة الأمريكية فى القاهرة التى كانت ترأس شبكة محدودة للتجسس على الخبراء السوفييت فى مصر. وتكشّف أمر هذه الجاسوسة قبل عام كامل من الحرب.

والجاسوسة الأمريكية اسمها «سو آن هاريس» وكانت تعمل فى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة مع الولايات المتحدة. وكان يعمل مع «الآنسة سو آن» شاب مصرى من أصل يونانى اسمه «طناشى راندو بولو» حرص على إقامة علاقات صداقة قوية مع بعض الخبراء السوفييت . وإستطاع طناشى أن يجمع معلومات كثيرة من صديق له من الخبراء السوفييت اسمه «بيليكوف» ظل يعمل فى القاعدة الجوية المصرية لمدة عامين وكان على اتصال دائم بالجاسوس طناشى. وعندما عاد «بيليكوف إلى بلاده قدم إلى «طناشى» خلفه «فيكتور» ومساعده «يورى»

واستطاع الجاسوس طناشي أن يدخل إلى القاعدة بواسطتهما ويتجول داخلها وينقل المعلومات إلى الآنسة «سو» في مبنى القنصلية الأمريكية بالقاهرة.

ومن أهم المعلومات التي قدمها طناشي إلى الجاسوسة الأمريكية أن الطائرات المصرية داخل مخازن خرسانية لوقايتها من الهجمات المعادية وأن الفكر الدفاعي يسيطر على العاملين بالقوات الجوية المصرية. وقللت تقارير طناشي كثيراً من قيمة أجهزة الرادار المصرية ونقل إلى الجاسوسة الأمريكية تأكيدات الخبراء السوفييت عن وجود أجهزة رادار في روسيا تتفوق كثيراً على الأجهزة التي حصلت عليها مصر.

وأهم فقرة في آخر تقرير قدمه الجاسوس عن مصر قبل القبض عليه تقول :

«إن المصريين غيرمستعدين وغير قادرين وغير جاهزين للحرب.. وقد يمر وقت طويل جداً قبل أن يصبحوا قادرين على استئناف القتال من جديد». ونقل الجاسوس هذه التأكيدات أكثر من مرة على لسان أصدقائه من الخبراء السوفييت العاملين في مصر».

وتم القبض على طناشي وعلى الجاسوسة الأمريكية - سو آن هاريس - وأكدت التحقيقات أن هذه المعلومات كانت تنقل إلى الولايات المتحدة أولاً بأول ، وأنه من المؤكد أنها كانت تجد طريقها إلى تل أبيب في إطار اتفاقيات التعاون في مجال المعلومات.

وتم استدعاء الجنرال أوكينيف ـ كبير المستشارين الروس فى مصـر ـ وإبلاغه بالأمـر وبتعليـمات الرئيس أنور السـادات بعدم إثارة الموضـوع بصورة علنية وترك الأمر للسـوفييت ليعـالجوه بطريقـتـهم والتـصـرف مع الأفراد الـذين قامـوا بتـسـريب هذه المعلومات مـع اتخاذ الإجراءات المناسبة التى تـضمن عدم تكرار مثل هذا الحادث.

وقبل أن يمـضـى أسبـوع واحد على القـبض على الجاسـوسة الأمـريكية وعـمـيلهـا طناشى أصدر الرئيـس أنورالسادات أمـراً بالافراج عنها وترحيلها إلى بلادها.

وكانت كلمة «كتر خـيرها» هى أبلغ ما يعبر عن دورها الذى لم تتعمده والذى ساهم فى الخداع الاستراتيجى للعدو.

٣

# إسرائيلى يشترك فى التخطيط للعبور

- كتاب «الأعياد اليهودية فى إسرائيل» المرجع الرئيسى لتحديد ساعة الصفر
- أعضاء المجلس الأعلى السورى وصلوا الإسكندرية سراً فى هيئة سائحين
- حائط الصواريخ المصرى ينتقل إلى سيناء فوق أكتاف الجنود
- رحلة الأسد السرية إلى موسكو

**لم يقدر أحد من أفراد الدورية قيمة هذا الإسرائيلي الشاب الذى عادت به دوريتهم من مغامرتها الليلية لخطف أسير من شرق القناة. لقد اكتشفوا عند استجوابه أنه مهندس فني يعمل في صيانة خزانات الإشعال الموجودة داخل النقاط**

الحصينة لخط بارليف، وإنه يأتى ضمن مجموعة الصيانة الدورية لهذه الخزانات وخراطيمها الممتدة إلى مياه القناة وأجهزة الإشعال المتصلة بها.

وكانت القوات الخاصة تقوم بالتسلل إلى شرق القناة غى دوريات للاستطلاع ، تتحول أحياناً إلى دورية خطف أسير تعود به إلى الضفة الغربية للقناة لاستجوابه وإرساله إلى القاهرة لاستكمال عمليات الاستجواب. وكانت هذه الأعمال تتكرر حتى أنها كادت تصبح عملاً روتينياً.

ولا توجد حتى الآن معلومات محددة عن إطار التعاون بين العملاء فى سيناء المحتلة وبين عناصر الاستطلاع ـ وربما لن تتوافر هذه المعلومات أبداً ـ لكن المؤكد أن عمليات خطف الأسرى تكررت وحققت نتائج طيبة.. ومنها ما كان عندما اكتشف

ضابط الاستطلاع المصرى أن الأسير القادم من الشرق يعمل فى صيانة خزانات البترول المتصلة بالضفة الشرقية لقناة السويس.

واستطاع هذا الشاب الإسرائيلى أن يرسم بدقة شكل الخزانات التى يعمل فى صيانتها، وأن يحدد أماكنها والعمق التى تختفى داخله ومكان وطول الأنابيب التى تنقل محتويات الخزان إلى مياه القناة ، وكيف أنها ستطفو فوق السطح وكيف يتم إشتعالها ليتحول سطح القناة إلى حرائق متأججة في مواجهة من يعبرها.

وتم وضع هذه الرسومات والبيانات تحت تصرف سلاح المهندسين مع التقارير التى أعدتها الضفادع البشرية بعد عدة عمليات استطلاع من تحت سطح الماء لهذه الخزانات وفتحاتها المتصلة بمياه القناة.

وأثبتت عمليات المقارنة والمضاهاة صدق الشاب الإسرائيلى الذى بقى معتقلاً فى القاهرة ليكون تحت تصرف المهندسين إذا أرادوا مناقشته فى أى تفاصيل فنية.

وكان المطلوب هو وضع خطة تبطل فاعلية هذه الخزانات وتمنع إشعال النيران فوق مياه القناة على أن تكون هذه الخطة بسيطة على قدر الإمكان وسهلة التنفيذ ويمكن لعدد قليل من الأفراد القيام بها دون أن يشعر بهم العدو إلي أن يفاجأ بقوات العبور فوق قناة السويس وخزانات نيرانه معطلة عن العمل. وعندما يتم إعداد هذه الخطة سيكون من السهل تدريب بعض عناصر الضفادع البشرية والصاعقة على تنفيذها فى توقيت مناسب قبل بدء العمليات ، حتى لا يكتشف العدو الأمر ويعيد

إصلاح تجهيزاته ويتنبه إلى الخطة المصرية.

ولم يكن ذلك وحده ما يشغل خبـراء سلاح المهندسين فى تلك الليلة، وإنما كانت هناك مجموعات أخرى تعمل على نماذج المعابر العائمـة والكبارى وقـياس الزمن الذى تستـغرقه كـل مرحلة من مراحل إعداد الكوبرى ونصب المعابر إلى أقرب دقيقة.

وتلقت مجـموعة أخـرى نتائج تحليل الرمال الـتى يتكون منها السد التـرابى شرق القناة بعد أن انتـهت عمليـات تحديد مكونات هذه الأتربة وأنسب أنواع الطلقات التى يمكن لهـا أن تخترق السد الترابى.

وتمـاثلت نتـائج التحليل مـع نتائج تحليـل عينات أخـرى، تم احضارها من جزيرة البلاح من نواتج أعـمال تعميق وتطهير قناة السويس. وثبت أن مكونات نواتــج التطهير الموجـودة فى جزيرة البلاح ممـاثلة لمكونات السـاتر الترابى الذى أقامتـه إسرائيل إمام مواقعها الحصينة شرق القناة. وتم فتح ملف التجريف الذى سبق إعداده.

وكانت بيانات الملف مصدر سعادة بالغة لمجموعة العمل التى تعد خطة التعـامل مع هذا السـاتر الترابى. ومصــدر هذه السعادة يرجع إلى وجود نواتج التطهير بـين أيدينا حيث أن جزيرة البلاح تحت السيطرة الكاملة للقوات المـصرية، لكن الأهم من ذلك بكثير أن هناك تجـارب ســابقـة على التـعـامل مع هذه الأتربة قـد تمت بنجاح فى عهد الرئيس جمال عـبد الناصر وأثبتت إمكانية التغلب على هذا الساتر التـرابى بسرعة وفـاعلية، بشــرط تماثل مكونات

السد الترابى مع مكونات نواتج تطهير القناة الموجودة فى البلاح.
وترجع أحداث هذه الخطة إلى عامين سابقين عندما كانت هيئة قيادة الفرقة ١٩ مشاه تناقش دورها فى خطة الإعداد للعبور وكيفية نقل فرقة مشاه - بكامل معداتها ومركباتها - إلى شرق القناة. وكان ضمن المجتمعين ضابط برتبة مقدم اسمه «عبدالباقى» وكان يشغل منصب قائد فرع المركبات بالفرقة ١٩ مشاة.

وكان المقدم عبدالباقى قد انتدب من قبل للعمل فى السد العالى وشهد هناك عملية تجريف رمال الجبال باستخدام المياه المضغوطة. وشرح ما رآه فى السد العالى عام ١٩٦٤ - أى منذ ٨ سنوات - عندما كان يتم التجريف بواسطة مضخات رفع مياه النيل ودفعها بقوة فى خراطيم يتم تسليطها على رمال الجبال التى يسهل بعد ذلك شفطها.

وكان الأمر بالنسبة للسد الترابى شرق القناة يبدو أسهل كثيراً مما كان في السد العالى لأننا لن نحتاج إلى إعادة شفط الرمال وإنما ستنساب تلقائيا إلى القناة مع المياه المنطلقة من الخراطيم، لتنفتح الثغرات وتعبر منها المركبات والمدرعات إلى سيناء.

وربما ساعدنا العدو كثيراً فى هذا المجال عندما قام باستكمال السد الترابى وجعله ملاصقاً لحافة القناة الشرقية بهدف مضاعفة صعوبة تسلقه. لكنه لم يكن يدرى أن ذلك سيساعد كثيراً على انسياب نواتج التجريف إلى قاع القناة، خاصة مع زيادة زوايا الميل للجانب الغربى من الساتر الترابى.

وظلت المعضلة القائمــة هى كيفية توفير مضــخات دفع المياه بهذه القوة أمام مواقع معادية وفى وقت قـصير كل دقيقة منه لها ثمن باهظ. والأهــم من ذلك مـصـدر الطاقــة التـى سـتـدير هذه المضـخات القوية.

ولم يكن مطلوباً من المـقدم عبدالبـاقى ولا ممن شاركوا مـعه يومها فى هذا الاجتماع حل هذه المعضلة. وقبل البحث عن حلول لهذه المسألة، فكر قائد الفرقـة فى إجراء تجربة علي نواتج تطهير القناة المتراكمة فى جزيرة البـلاح. وتم توفير طلمبات ضغط عال تعمل بالطاقـة الكهربائيـة ،وتحميلهـا على براطيم عائمة لتـشفط المياه من القناة وتدفـعها فى خراطيم ذات مخارج معـدنية متينة. وحققت التجربة نجاحاً كبيراً وانسابت الرمال مختلطة بالمياه إلى قاع القناة.

وأرسل اللواء سعـد زغلول قائد الفـرقة ١٩ مـشاة ــ فى ذلك الوقت ــ بنتـائج تجـاربه إلى القـيـادة العـامـة وأبلغ بهـا وزير الحربية. وتم يومــها نقل التفاصيل إلى الرئيس جمــال عبدالناصر الذى طلب مــواصلة التجارب وتحـديد المعـدات المطلوبة ووضع تقييم تفصيلى للنتائج.

ومـضت الشهـور. وعندمـا حان مـوعـد وضع خطط العبـور موضع التنفيذ ،تم فتح ملف التـجريف من جديد على ضوء نتائج تحليل مكونات رمال السـد الترابى الذى أقامه العـدو شرق القناة ومقـارنتهـا بنتائج تحليل مـكونات رمال نواتج الحـفر والتطهـير الموجودة فى جزيرة البلاح.

وقبل أن يعقد الرئيس السادات اجتماع المجلس الأعلى فى بيته كانت تجربة أخرى قد تمت فى جزيرة البلاح بهدف تحديد المعدات المطلوبة ووضع خطة تدريب الأفراد على تجريف رمال الساتر الترابى باستخدام مياه القناة.

وبدأ ملف التجريف يكتمل بتقرير سبق أن أعدته وزارة السد العالى عن أسلوب التجريف الذى اتبعوه فى أسوان مدعماً بالصور. واستطاع سلاح المهندسين أن يضع مواصفات مدافع المياه التى سيستخدمها الجنود يوم العبور، بحيث تكون أصغر كثيراً من المعدات التى استخدموها فى السد العالى، وأن تعمل بالوقود حيث لن تتوافر الكهرباء مثلما توافرت في مواقع العمل بالسد العالى. وبدراسة قدرة البراطيم العائمة على حمل الطلمبات الميكانيكية التى تعمل بالوقود، وقوة المياه المندفعة، ثبت نجاح الفكرة وأصبح هناك مدفع مياه يستطيع فتح الثغرة الواحدة فى الساتر الترابى فى زمن قياسى يفوق كل الوسائل التقليدية الأخرى ومنها القصف والتفجير.

وانتقلت عمليات التدريب إلى مواقع أخرى مختلفة كان من بينها نماذج معدة للتدريب على شواطىء بحيرة قارون بالقرب من الفيوم، وفى جزر ترابية وسط نهر النيل.

وانطلقت خطط التدريب على جميع مراحل العبور لتوضع موضع التنفيذ على مستوى الفرق والألوية والكتائب.

وبدأت فى الوقت نفسه مجموعات الخداع فى وضع خطط الخداع التكتيكى لتكمل الخداع الاستراتيجى الذى كان قد بدأ يأتى

بنتائج مشجعة. وبدأت مجموعة العمليات بقيادة اللواء محمد عبدالغنى الجمسى فى دراسة المواعيد وأنسب الأيام والساعات للمعركة بالتنسيق الكامل مع القيادة السورية.

وبدأت رحلة تحديد الأيام المناسبة في مكتب رئيس هيئة العمليات عندما وقف أمامه العقيد صلاح فهمى ضابط التخطيط بهيئة العمليات ، ليعرض عليه التقرير اليومى وملخص ما تبثه إذاعات العالم عن الموقف الدولى وكل ما يتعلق بمصر وبإسرائيل.

ونظر إليه اللواء الجمسى طويلاً.. واستمرت لحظات الصمت حتى قطعها اللواء الجمسى قائلاً : «ياصلاح.. هناك كتيب أعدته المخابرات العامة وطبعته بعنوان «الأعياد والمناسبات اليهودية فى إسرائيل»، هات الكتاب ده وادرسه جيداً..

وكانت هناك أكثر من نسخة فى مكتبة هيئة العمليات. ولم يكن من الصعب على العقيد صلاح أن يستنتج أن الهدف هو البحث عن يوم مناسب للعبور.

لقد أصبح اقتراح اليوم المحدد للحرب مسئولية سبعة من الضباط المصريين يشكلون فرع التخطيط بهيئة العمليات، وتنحصر اتصالاتهم داخل دائرة منغلقة تماماً عليهم وعلى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، تنحصر رتب معظمهم بين عقيد ومقدم ويرأسهم عميد يخضع مباشرة لرئاسة اللواء الجمسى. وهؤلاء الضباط السبعة يتمتعون بهدوء الأعصاب والقدرة على التركيز العميق، وتحليل المعلومات والرؤية المستقبلية الواضحة

والتعاون الكامل والفكر المشترك الذى يحقق التفاهم الكامل للعمل بروح الفريق.

لقد صدر التـوجيه السياسي من رئيس الجـمهورية إلى وزير الحربية ببدء الحرب فى اليوم المناسب، اعتباراً من النصف الثانى من هذا العام ١٩٧٣.. والأيام تمر سريعاً والعمل لا يتوقف فى كل أفرع القوات المـسلحة. ودخلت مجموعة العـمل التى تضم أعضاء فرع التخطيط بهـيئة العمليـات فى سباق مع الأيام. ووصلت الآن إلى مـرحلة البحث عن اليـوم المناسب فى الجبـهتـين المصــرية والسورية..

والبحث المنطقى يقتضى تحديد أنسب الشهور ثم أنسب الأيام فى الشهر الذى يقع الاختيار عليه.

وفى مجال الإعداد القتالى والتـسليحى كانت الخطة قد اكتملت بتعلية السد الترابى على الضفة الغربية للقناة ليحجب جزئياً قدرة العدو على متابعة ما يجرى على الجبهة المصرية.

وتصــور العدو أن هـذا الساتر مـعـد لصعـود الدبابات عليــه وإطلاق قذائفهـا من فوقه ثم الاحتمـاء خلفه. ولم يكن ذلك يشكل تعمية كافية لاستطلاعـات العدو الذى اعتمد على التصوير الجوى بواسطة طائرات الاسـتطلاع. وهذا أدى إلـى متـابعـة العـدو لكل مراحل بناء حـائط الصواريخ الدفـاعى غرب القناة والذي يتـحمل المسئـولية الرئيسية في الـتصدى لغارات العدو الجـوية. وساعد ذلك على اطمـئنان العـدو إلى عـدم قدرة الـقوات المـصـرية على العبور، لأن حـائط الصواريخ لا يوفر غطاءً فى عمق سـيناء وإنما

تقتصر قدراته على الجوانب الدفاعية بصورة أساسية.

ولم يعمل العدو حساباً للصواريخ المضادة للطائرات - أرض جو - المحمولة بواسطة الأفراد والتى تمثل امتداداً حقيقياً لحائط الصواريخ المصرى الذى انتقل إلى أرض سيناء فوق أكتاف الجنود فى شكل الصواريخ «سام».

وكانت مفاجأة للعدو لا تقل عن المفاجآت الأخرى التى تحققت بواسطة الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات - أرض أرض - والتى كانت ضمن خطة الخداع التعبوى.

وكانت سائر المؤشرات تؤكد سوء العلاقات المصرية - السوفيتية خاصة في مجال التسليح.. ولم يعرف أحد شيئاً عن الزيارة السرية التى قام بها الرئيس السورى حافظ الأسد إلى موسكو بهدف تحسين هذه العلاقات دون أن ينعكس ذلك على ما ينشر أو يذاع.

وبعد نجاح رحلة حافظ الأسد السرية إلى موسكو توالى سفر عدد من كبار القادة العسكريين المصريين - ومنهم وزير الحربية نفسه - وأسفر ذلك عن عقد صفقتى سلاح وقطع غيار لم يعرف عنهما العالم شيئاً. وكان من المهم بقاء تفاصيل هذه الأسلحة سراً، لكن الأهم أن مواعيد تسليمها كانت جميعها قبل أكتوبر ١٩٧٣.

وهذا كان من بين العوامل التى تم الاستناد إليها عند تحديد موعد العبور المقترح. وكانت هناك دفعة قوية إضافية فى صفقة أسلحة ثالثة أطلق عليها القادة اسم «صفقة مارس»، والتى جاء

موعد تسليمها ليسبق الحرب بفترة قصيرة. وترجع أهمية «صفقة مارس» إلى أنـها كانت إضـافة للتـسليح الذى تعـتمد عليـه خطة العبور.

والسبب فى تسـمية «صـفقة مارس» يـرجع إلى أنها تمت في موسكو في شهـر مارس ٧٣ ووقعها هناك وزير الحـربية الفريق أحمد إسماعيل وسبقتها زيارة مهمة قام بها سراً إلى القاهرة وفد عسكرى سوفيتى برئاسة الجنرال لاشنكوف واستمرت من ٥ إلى ١٢ فبراير ١٩٧٣ وتم خـلالها التوصل إلى اتفاق بشأن الصـفقة الإضافية الذى وقعها أحمد إسماعيل فى موسكو.

وتم تدريب الطيارين المـصريين فى الاتحاد السوفـيتى خلال شهرى مايو ويونية ١٩٧٣. كما شملت الصفقة الإضافية ما أشار إليه الرئيس الســادات فى بعض خطبه قائلاً: إننى قـبل أن أحارب لابد أن أضـع «الإلكتـرون» فى يد أبنائى. وكان ذلك مثـاراً للنكات التي لابد أنها تسربت إلى مـخابرات العدو، دون أن يدرى أحد أن المقصود بوضع الإلكترون فى يد الجنود هو الأخذ بفنون الحرب الالكترونية التي لم تكن معـروفة للعامة من الناس في ذلك الوقت، والتى انعكست على مسرح العمليات فى صورة سرب للاستطلاع والإعاقة الإلكترونية لم يعمل العدو حساباً له.

واكتملـت أمام القيادة العامــة للقوات المسلحـة صورة القوات المـصرية الجـاهزة للعمل والتى يمكن بـها شن حـرب هجومـية مفـاجئـة وواسعـة بطول جبـهة قناة السـويس مع توفيـر قوات الاحتياط والدفاع عن العمق الاستراتيجي.

وكانت هذه القوات تمثل حشداً كافياً لتحقيق خطة العبور طبقاً للاحتياجات رغم أن فلسفة الإعداد للعبور استندت فى بدايتها إلى حتمية الحرب بما يتوافر من إمكانيات وليس بما يجب أن يكون.

وهكذا التقى التوجيه السياسى للقائد الأعلى بحتمية الحرب مع الإعداد العسكرى للمعركة. وباستكمال الاعداد بدأت مرحلة اختيار التـوقيت وتحـديد اليوم (ى) ولحظة البـدء (س) مع تنفيـذ خطط الخداع التكتـيكى المكملة للخداع التـعبوى وما سـبقهـا من خداع إستراتيجى.

وبينما كـان العقيـد صلاح يعكف على دراسـة كتيب «الأعـياد والمناسبـات اليهودية فـى إسرائيل» كانت هناك دراسـات أخرى أمام الضبـاط السبعة في فرع التـخطيط بهيئة العـمليات وصورة أخرى أمام اللواء الجمسى رئيس الهيئة.

كان الهـدف من تلك الدراسات البحث عن أفضل شـهور السنة لاقتحام القناة من حيث حالة المد والجـزر وسرعة التيار البحرى واتجاهه. ولم يكن فى ذلك متـغيرات كثيرة تخـتلف من شهر إلى آخر فى مـدى تأثيرها على وسائل العـبور بالقوارب وعلى إقـامة وتشغيل المعديات والكبـارى. إن الفرق في المنسوب بين أعلى مد وأعلى جزر هو ٨٠ سنتيمترا فى القطاع الشمالى للقناة يصل إلى مـتريـن فى القطاع الجنوبى من الإسـمـاعيلـية جـتى السـويس. وسرعة التيـار فى القطاع الشمالى ١٨ متراً فى الدقيـقة تقفز إلى ٩٠ متراً فى الدقيقة بالقطاع الجنوبى. واتجـاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال للجنوب وبالعكس.

وكانت هذه الظواهر الطبيعية تؤثر على وسائل العبور بالقوارب وعلى إنشاء وتشغيل المعديات والكبارى، وهو ما كان فى الاعتبار عند وضع الخطط القتالية للجيشين الثانى والثالث. أما عن التوقيت فقد كان العامل الأهم هو اختيار يوم يتميز بطول ليله، ويكون فى شهر من الشهور التى لا تتعرض لتقلبات جوية شديدة تؤثر على تحرك القوات.

ولاكتمال عنصر المفاجأة امتدت الدراسة إلى البحث فى العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم العطلة الأسبوعية وهو السبت.

وبدأ شهر أكتوبر ٧٣ يبرز من وسط كل الاحتمالات التى تجرى دراستها. إنه فى الثلث الثالث من العام وهو داخل الإطار الزمنى الذى حدده الرئيس السادات للعبور. وهو من الشهور التى تجرى فيها مناورات الخريف المعتادة مما يجعل التحركات العسكرية تتم تحت ستار المناورات والمشروعات التدريبية.

وفى هذا الشهر - أكتوبر ٧٣ - يوجد ثمانية أعياد يحتفل بها الإسرائيليون ومنها عيد الغفران - المعروف باسم يوم كيبور - وعيد المظلات وعيد التوراة. وتطرقت الدراسة إلى طريقة الاحتفال بكل عيد من هذه الأعياد ومدى تأثيره على إجراءات التعبئة فى إسرائيل.

وفى عيد الغفران - يوم كيبور - وهو يوم السبت - ستتوقف الإذاعة والتليفزيون فى إسرائيل عن العمل وهو يوم صيام وسكون كامل. وهذا يعنى استحالة استخدام الإذاعة والتليفزيون

فى استدعاء قوات الاحتياط. وحتى إذا تم تشغيلها فإن أحداً لن يستمع إليها، لأن الناس تعرف أن الإذاعة والتليفزيون لا تبث شيئاً فى هذا اليوم. وستضطر القيادة الإسرائيلية إلى استخدام وسائل أخرى تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم تعبئة الاحتياط.

وهذا الوقت الطويل هو المطلوب بالنسبة لقوات العبور.

وفى هذا اليوم سيكون ضوء القمر ظاهراً فى النصف الأول من الليل لأنه يوم العاشر من الشهر القمرى، كما أن النصف الثانى من الليل سيكون مظلماً. وهذا يناسب تماماً خطة العبور بحيث تنتهى وحدات المهندسين من إنشاء وتركيب الكبارى فى ضوء القمر ليستمر تدفق العبور بالأفراد والأسلحة والمعدات تحت جنح الظلام.

وسيصادف يوم السادس من أكتوبر اليوم العاشر من شهر رمضان وهو شهر الصيام فى مصر مما يساعد على خداع العدو ويتيح الفرصة لتمثيل وافتعال احتفالات مع إبراز الإنشغال بها والتكاسل والاسترخاء.

وسينشغل الرأى العام فى إسرائيل كثيراً مع بداية شهر أكتوبر بالحملات الانتخابية التى ستكون على أشدها استعداداً ليوم التصويت فى الانتخابات البرلمانية للكنيسيت والمحدد لها ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م.

وبالنسبة للجبهة السورية كان هذا اليوم مناسباً ولا يجوز تأخيره عن بدايات أكتوبر، حتى نتجنب موسم البرد الشديد وبدء تساقط الجليد.

واكتملت العناصر الملائمة فى يوم السبت السادس من أكتوبر الذى تسبقـه أعياد إسرائيلية ويصــادف عيد كيبور وتتـوقف فيه الحيـاة فى إسرائيل وحـالة الطقس تناسب الجـبهـتين المـصرية والسورية، ويصادف شهر الصيام الذى تستبعد فيه إسرائيل قيام عمليات عسكرية خلاله.

وســيكون فرق المنســوب بين المـد والجزر فى القناة أقل مـا يمكن، مما يتيح أنسب الظروف لعبـور القوارب وتشغيل المعديات وعمليات بناء الكبارى.

وانطلاقاً من ذلك بدأ التنسيق مع القيـادة السورية وتقرر عقد اجتماع مـشترك لأعضاء المجلس الأعلى للقـوات المسلحة فى كل من مـصر وسـوريا للإتفـاق على جـداول العمـليات وتوقـيـتهـا والتنسيـق الكامل بين الجبهـتين مع التـحديد النهـائى لليوم (ى) وساعة الصفر (س).

وجرت الاتصالات بيـن القاهرة ودمشق لتحديـد مكان وموعد الإجتـماع، ووسائل تأمـينه والحفاظ علـى عناصر السرية التـامة التى يجب أن تحاط بتحركات أعضائه.

واتفـقـوا على أن يكون مكان الاجـتـمـاع فى الإسكندرية وأن يحضر أعضاء المـجلس العسكرى السورى إلى هناك متنكرين فى هيئة سائحين وبأسماء منتحلة وبأوراق غير حقيقية.

وتحقق ذلك داخل سفينة ركاب سوفيتية رست بجوار رصيف خاص بمـيناء الإسكندرية فى تمام الساعـة الثانية بعـد ظهر يوم

الجمعة ٣١ أغسطس ١٩٧٣، وعلى سطحها ٦ سائحين في ملابس خفيفة ذات ألوان زاهية تناسب جو صيف الأسكندرية الحار المفعم برطوبة أغسطس.

وكان في انتظارهم رجل رشيق يبدو فى سن الشباب ويرتدى ملابس شبابية يبدو بها وكأنه مندوب شركة سياحية جاء ليستقبل مجموعة من السائحين. لكن أحداً لم يكن يتصور أنه في الحقيقة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ـ الفريق سعد الدين الشاذلى.

٤

# مصر تطلب من الدول العربية تأييد الحل السلمى

- خطة الهجوم بسبع فرق تتستر وراء مواقعها الدفاعية
- مدير مخابرات اسرائيل: لن نستدعى الاحتياط ولن نرقص على أنغام المصريين
- السادات والأسد قررا تخفيض العد التنازلى للحرب الى ١٥ يوما

بعيداً عن العيون كان الاعداد للمراحل النهائية من الخطة الهجومية يجرى بسرعة وبكثافة كبيرة.

وقبل أن تكتمل الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس ١٩٧٣ كانت سفينة ركاب صغيرة ترفع العلم السوفيتى ترسو على رصيف خاص فى ميناء الأسكندرية. ورغم أن السفينة كانت سوفيتية الصنع وترفع العلم السوفيتى، لكن أحداً فى الاتحاد السوفيتى أو فى غيره لم يكن يعرف أن على سطحها ستة ضباط عظام ينتمون الي القوات المسلحة السورية، وأن رحلتهم الى الأسكندرية يتوقف عليها مصير الحرب فى الشرق الأوسط.

كل شىء كان يبدو طبيعياً. وليس هناك في هذه السفينة ما يثير الانتباه أو يلفت الأنظار. لقد كان من الطبيعى أن يزور مصر سائحون سوفييت ولم يكن لغيرهم من أوروبا أو من غيرها أن يأتوا الى الأسكندرية للسياحة فوق باخرة سوفيتية، بعد أن انكمشت الحركة السياحية الى مصر من كل دول العالم ما عدا الكتلة الشرقية وسائحيها المتواضعين. وكل من على سطح هذه السفينة كان يرتدى ملابس مدنية خفيفة تناسب حر أغسطس، وكان منهم من يضع قبعات أو كاسكيتات للوقاية من الشمس.

ولم يكن هؤلاء السائحون سوى أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية يتقدمهم اللواء مصطفي طلاس «وزير الدفاع» واللواء يوسف شكور «رئيس أركان حرب القوات المسلحة السورية» واللواء ناجي جميل «قائد القوات الجوية والدفاع الجوى» واللواء حكمت الشهابى «مدير المخابرات الحربية» واللواء عبدالرزاق الدرديرى «رئيس هيئة العمليات» والعميد فضل حسين «قائد القوات البحرية».

ودون أية اجراءات أو مراسم تلفت الأنظار وجد الضيوف الستة طريقهم الى نادى الضباط بالأسكندرية، حيث أعد مقر اقامتهم. وتأكد لكل من يعمل فى نادى الضباط أن هؤلاء مجموعة من الخبراء السوفييت فى زيارة قصيرة لمصر.

وبعد فترة راحة تخللتها وجبة خفيفة بدأ كل واحد من القادة يخرج على حدة ليصلوا جميعاً على الانفراد الواحد تلو الآخر الى مقر قيادة القوات البحرية فى قصر رأس التين، حيث كان يتوالى وصول سبعة من القادة المصريين. واكتمل العدد ١٤ ضابطاً بوصول اللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان حرب القيادة المصرية ـ السورية الاتحادية.

وكان القادة المصريون السبعة هم الفريق أول أحمد اسماعيل «وزير الحربية» والفريق سعد الدين الشاذلى «رئيس أركان حرب القوات المسلحة» واللواء محمد على فهمى«قائد الدفاع الجوى» واللواء حسنى مبارك «قائد القوات الجوية» واللواء فؤاد ذكرى «قائد القوات البحرية» واللواء عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة العمليات» واللواء فؤاد نصار «مدير المخابرات الحربية».

واكتمل بذلك المجلس الأعلي للقوات المسلحة المصرية ـ السورية ليبدأ اجتماعه التاريخي.

وتولى اللواء بهى الدين نوفل أعمال السكرتارية لهذا المجلس ولم يسمح فيه بالتسجيل أو بدخول أية أجهزة الكترونية. وكان اللواء الجمسى وحده يكتب الملاحظات ومشروع القرارات ليقدم فى النهاية نسخة منها الى وزير الحربية المصرى ونسخة مماثلة لوزير الدفاع السورى.

وظهرت فى هذا الاجتماع نقاط خلاف كثيرة رغم الاتفاق التام على الخطوط الرئيسية.

ان الجانبين المصرى والسورى يعملان معاً على أساس تعليمات القيادة السياسية فى البلدين، والتى تقضى بشن عملية هجومية واسعة على الجبهتين، قبل نهاية أكتوبر تجنباً لموسم الجليد فى الجبهة السورية. والجميع اتفقوا على أن القوات المسلحة فى الدولتين جاهزة لتنفيذ المهمة المسندة اليها، وأعلنوا أنهم ينتظرون القرار السياسى ببدء الهجوم فى الموعد الذى يصدق عليه الرئيسان.

لكن اليوم والساعة ظلا موضع جدل.

كان هناك اقتراح سورى ببدء العمليات فى يوم من أيام الأسبوع الثانى من سبتمبر ما بين ٧ و١١ من ذلك الشهر. وكان الاقتراح الثانى يحدد يوم الهجوم (ى) ما بين ٥ و١١ أكتوبر. وكان أنسب هذه الأيام بالنسبة للجبهة المصرية هو السادس من أكتوبر.

وتفرعت المناقشات بين الجانبين لتتناول تفاصيل كثيرة اختلفت حولها وجهات النظر مما ترتب عليه مد الاجتماعات وتكثيفها حتى استمرت لمدة ستة أيام متواصلة. وتم تحديد فترة العد التنازلى للهجوم بعشرين يوماً تبدأ باليوم (ى ناقص ٢٠) أى قبل يوم الهجوم (ى) بعشرين يوماً. ورأى الجانب السورى أن الأمر يقتضى خمسة أيام؛ لتفريغ معامل تكرير البترول فى حمص؛ حتى لا تتعرض للقصف المعادى وهى مليئة بالبترول مما يشكل كارثة محققة.

وحول ساعة الصفر (س) اقترح الجانب المصرى أن تكون بعد الظهر حيث يكون قرص الشمس قد مال نحو الغرب وأصبحت أشعتها خلف المدفعية المصرية ووراء القوات وفي مواجهة العدو الذى سيكون قرص الشمس أمامه مما يمثل مصدر تفوق للجانب المصرى. لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للجبهة السورية لأن القوات السورية تتجه فى عملياتها نحو الجنوب الشرقي. ولذلك يفضل الجانب السورى أن يبدأ هجومه صباحاً لتكون (س) أى ساعة الصفر مع أشعة الفجر الأولى.

واقترح الجانب المصرى تعديل الخطة لتبدأ القوات السورية هجومها مع الفجر وتنطلق القوات المصرية بعد الظهر. واعترض الجانب السورى على ذلك حتى لا يواجه وحده النشاط الجوى الاسرائيلى لعدة ساعات مع احتمال قيام العدو بهجوم مضاد على الجبهة السورية قبل أن يتجه الى الجبهة المصرية. كما أن اختلاف (س) سيفقد الخطة مزايا الهجوم المفاجىء على جبهتين في وقت واحد.

ودرس المجتمعون فكرة أن تقوم القوات المصرية بالهجوم بعد ظهر اليوم (ى) وتؤجل ساعة الهجوم من الجبهة السورية الى فجر اليوم التالى. (ى. زائد واحد). لكن هذا الاقتراح تم استبعاده لاعتبارات سياسية باعتباره سيجعل الصورة تبدو كأنها حرب مصرية بدأتها مصر ولحقت بها سوريا فضلاً عن فقدان عنصر الحرب المفاجئة من جبهتين في وقت واحد.

وقبل أن يتم حسم نقاط الخلاف والتوصل الى تحديد موحد لليوم (ى) وساعة الهجوم (س) كان الرئيس أنور السادات قد بدأ جولة في عدة بلاد عربية، لتشكل فى حد ذاتها آخر حلقات الخداع الاستراتيجى وبداية مراحل أخرى من الخداع. اتجه الرئيس السادات أولاً الى المملكة العربية السعودية؛ ليجتمع مع الملك فيصل، وترك انطباعاً بأنه يبحث فى الزيارة عن دعم سياسى سعودى فى مجال الحل السلمى. وكانت الجهود الدبلوماسية تتكامل مع النشاط الاعلامى فى أوروبا وفى دوائر الأمم المتحدة بنيويورك بقصد تحريك الجهود الدبلوماسية في اتجاه الحل السلمى، وحرص مصر على إعادة إحياء المبادرات السياسية. وتلقى وزير الخارجية الأمريكي هنرى كيسنجر أكثر من اتصال يهدف الى تحركه على المستوى الشخصى بعد أن انتهى موسم الإجازات الصيفية على أمل أن تجد مصر مخرجاً من ذلك الطريق المسدود التى وجدت نفسها فيه وهى تدور حول دائرة مفرغة.

وفى قطر بحث الرئيس السادات مجالات التعاون المشترك بصورة تسمح بتسرب معلومات عن تفاقم الأزمة المالية في مصر، وعدم قدرتها على الحصول على سلاح وقطع غيار نتيجة

نقص احتياطيات العملة الصعبة وتوتر العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

وفى ختام جولته طار الرئيس السادات الى سوريا للاجتماع بالرئيس حافظ الأسد. وتم تسريب معلومات وتحليلات الى صحف عربية خليجية ولبنانية حول طلب السادات وساطة الأسد في تحسين العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

ورغم كل ما فى هذا من خداع يجعله مخالفاً للحقيقة تماماً، فان الأمر كان له بعض الانعكاس السلبى على الجبهة الداخلية المصرية وعلى الرأى العام فى مصر.

ولم يكن أحد يعلم أن السادات عندما بدأ هذه الجولة كان المجلس الأعلى للقوات المصرية ـ السورية يضع فى الأسكندرية اللمسات النهائية للخطة الهجومية ولخطة الخداع التى تسير جنباً الى جنب مع خطة العمليات وتحديد مواعيد مراحل الهجوم من الجبهتين.

وعندما انتهت اجتماعات الأسكندرية السرية يوم الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٧٣ عاد الضباط المصريون فرادى الى مقار عملهم فى حين تفرق الضباط السوريون ، ليجد كل منهم طريقاً مختلفاً الى بلاده. ذهب أحد الضباط الى جدة لتأدية العمرة قبل أن يعود الى سوريا ، وذهب آخرون الى القاهرة واستقلوا على مدى أيام متفرقة الطائرات الى دمشق. ومنهم من عاد على الخطوط الجوية السورية ومنهم من استخدم طائرة «مصر للطيران».

أما الباقون فقد عادوا بطريق البحر من الأسكندرية الى ميناء اللاذقية فى الشمال السورى.

ووصل اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى الى دمشق، ليجتمع بالرئيس حافظ الأسد ويطلعه على تفاصيل ما تم الاتفاق عليه فى الأسكندرية. وفى اليوم نفسه كان الرئيس أنور السادات يتجه ضمن جولته العربية الى دمشق فى زيارة رسمية تبدو ضمن جولته بحثاً عن حل سلمى وأملاً فى قيام الرئيس الأسد بدور فى اصلاح الأحوال بين القاهرة وموسكو.

وحقيقة ما دار فى اجتماع الرئيسين كانت مختلفة كل الاختلاف عما ذكرته الصحف وردده المحللون والمعلقون فى الوطن العربى وخارجه. لقد عقد الرئيسان اجتماعهما السرى بعيداً عن عدسات التصوير وكاميرات التليفزيون، وبحثا مع اللواء طلاس قرارات الأسكندرية وتوصيات القادة. واستبعد الرئيسان كل التوقيتات التى تجعل يوم (ى) أحد أيام شهر سبتمبر واتفقا على أن يبدأ الهجوم بين يومى ٥ و ١٠ أكتوبر مع ترجيح اليوم السادس من أكتوبر أو قبله بيوم واحد. واقترح الرئيس السادات فى اجتماع دمشق تخفيض فترة العد التنازلى من ٢٠ يوماً الى ١٥ يوماً فقط باعتبارها كافية لكل خطوط العمليات قبل ساعة الصفر. وتم الاتفاق على ذلك. وقدم الرئيس حافظ الأسد تفويضاً كاملاً للرئيس السادات، باعتباره القائد الأعلى للقيادة الموحدة للدولتين ـ مصر وسوريا ـ ليقوم بتحديد التوقيتات واطلاق شرارة الهجوم. وتقرر أن يكون اليوم (ى) هو السادس من أكتوبر وأن يبدأ العد التنازلى قبله بـ ١٥ يوماً أى يكون (ى - ١٥) هو الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٧٣م.

وعندما انعقد المؤتمر الوزارى لدول عدم الانحياز صدرت التعليمات من وزارة الخارجية المصرية فى القاهرة ومن وزارة

الخارجية السورية فى دمشق الى مندوبى وممثلى الدولتين بالتحدث عن السلام وعن التطلع الى حلول سلمية تحقن الدماء وتنقذ المنطقة من التوتر المستمر. وكانت التعليمات الصادرة للدبلوماسيين العرب فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية تسير فى هذا الاتجاه. وطلب الرئيس أنور السادات شخصياً من عدد من الزعماء العرب مساعدة دبلوماسية فى هذا المجال باعتبار الحل السلمى هو الممكن الوحيد. ورغم تحفظ بعض الدبلوماسيين المصريين على هذا الأسلوب، الا أنهم التزموا بما صدر اليهم من تعليمات دون أن يتبادر الى ذهن أحد منهم أنه يقوم بدوره فى خطة خداعية متكاملة.

وتقدمت احدى الشركات الأمريكية بمشروع اتفاقية بترولية مع مصر تقضى بانشاء خط أنابيب للبترول يبدأ من داخل ميناء الأدبية على خليج السويس. ووافقت مصر ووقعت أوراق المشروع وصادقت على العقود. وكان ذلك مؤشراً على أن مصر تتوقع فترة سلام طويلة، لأن موقع المشروع يدخل في بؤرة دائرة العمليات العسكرية في حالة نشوب أية عمليات قتالية.

وفى منتصف سبتمبر - وقبل أن يبدأ العد التنازلى للحرب بستة أيام - وقعت معركة جوية فوق الأرض السورية تورطت فيها الأسراب السورية. وأسفرت هذه المعركة المشئومة عن سقوط ١٢ طائرة سورية. وكان رد الفعل الطبيعى أن تقوم سوريا بعمل ما لرد هذه الضربة. وقد حشد السوريون بالفعل قواتهم في مواجهة العدو مما جعل اسرائيل تستنتج أن الهدف هو الرد على هذه الضربة بعملية محدودة. لكن الأمر تحول الى تحركات مدروسة ضمن خطة الحشد الرئيسى للحرب الهجومية.

واستوجب ذلك تحـركات مماثلة مـحدودة على الجبهـة المصرية. ولكن الأيام مرت دون أن يقع شـيء مـما توقعتـه اسرائيل. وبات راسخـاً في الوجدان العـسكرى الاسرائيلى أن سوريا قـد ابتلعت الضربة ووقفت عاجزة عن الرد.

وأصـبحت هذه الواقـعة أحـد عناصر الخـداع التى تؤكد عـدم القدرة العربية على القـيام بأعمال هـجومية. فـضلاً عن أنها كانت تغطية ناجحة للتحركات السورية.

وعلى الجبهـة المصرية تحولت التحركـات العسكرية الى جزء من الاعداد للمشروع التدريبى الذى عرف باسم مناورات «تحرير ٢٣» والذى سمح باسـتدعاء بعـض قوات الاحتـياط ليتـسنى لها الاشتراك فى المشروع التدريبى. وكـانت الاشارات المفتوحة بين القوات تكمل الصورة الخداعية التى كان العدو ضحية لها.

وقد استراحت الدوائر الاسرائيلية كثيراً لما انتهت اليه قناعاتها من أن العـــرب غـــيـر قـــادرين على الهـــجـــوم ، وأن مناورات «تحرير ٢٣» لـيست ذات بال ، وأن السـوريـين قد استكانـوا بعد سقوط ١٢ طائرة لهم فى مـعركة جوية واحدة ، ولم يعـد أمامهم سـوى التحـركات العـسكرية التظاهرية التى ليس وراءها سـوى انقاذ ماء الوجه ظاهرياً.

ورسخ ذلك فى الوجـدان العـسكرى الاسـرائيلى خـاصـة أن الكثير من القضايا الساخنة كانت تجذب انتباهه وتستنزف جهوده داخلياً وخارجياً.

.. على الصعـيد الخارجى بدأت اسرائيل مع بداية أكـتوبر ٧٣ تواجه مشكلة كبيرة ترتبت على قـيام الحكومة النمساوية بإغلاق

معسكر استقبال المهاجرين اليهود فى منطقة «شنو» وكان هذا المعسكر يستقبل يهود الاتحاد السوفيتى وينظم نقلهم الى اسرائيل. وتعرض القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين السوفييت الى المعسكر لهجوم فدائى فلسطينى أسفر عن اختطاف عدد من الرهائن.

وباغلاق هذا المعسكر تفجرت مسائل دبلوماسية وسياسية فى مواجهة اسرائيل تكاملت معها حملات اعلامية عربية وعالمية ضد السوفييت واسرائيل معاً. واستوجب ذلك قرار الحكومة الاسرائيلية سفر رئيسة الوزراء للاجتماع مع المستشار النمساوى فى فيينا. وكان ذلك قبل مولد الحرب بأيام لتعود من رحلتها قبل الحرب بساعات.

وعلى الصعيد الداخلى كانت الاستعدادات لانتخابات الكنيست البرلمان الاسرائيلى - على أشدها، فقد كان من المقرر أن تجرى عملية التصويت فى نهاية أكتوبر ٧٣.

وعلى الصعيد العسكرى جرت قبل ذلك تنقلات وتعيينات عكست الصراعات الخفية داخل المؤسسة العسكرية فى اسرائيل وكان أفضل ما أسفر عنه ذلك هو ابعاد الجنرال «ياريف» عن ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية وتعيين الجنرال «زائيرا» بدلاً منه. وكان «زائيرا» من المؤمنين باستحالة عبور قناة السويس بأى قوات عسكرية مهما بلغ حجمها ومهما كان تسليحها.

وقد أمضى «زائيرا» فى موقعه فترة كافية قبل بداية العبور، مما جعل ايمانه باستحالة الحرب ينعكس على معظم العاملين معه

من ضباط المخابرات العسكرية الاسرائيلية.

وساعد ذلك كثيراً على تورط العدو الاسرائيلى فى استنتاجات خاطئة بشأن التحركات التى كانت تجرى غرب القناة. لقد رآها العدو.. لكنه أبداً لم يفهمها.

كانت القوات تتحرك أثناء الليل فى اتجاه الجبهة. وكانت بعض عناصرها تسحب نهاراً ثم تعود ليلاً الى مواقعها المجهزة والمعدة لها والتى انسحبت منها صباحاً. وكانت حشود المدفعية والدبابات تتخذ ستاراً وراء الكتل الرملية والسد الترابى الذى اتخذ شكل الاستحكامات الدفاعية في مواجهة الضربات الاسرائيلية. وكانت الاشارات اللاسلكية المتبادلة بين الوحدات العسكرية المتحركة تدخل جميعها فى اطار المشروع التدريبى «تحرير ٢٣» والاعداد لمراحله المختلفة.

وظل أسلوب الحشد العسكرى المصرى غرب القناة يلتزم بالشكل الدفاعي الذى يخدم الخطة الهجومية ويؤكد فى الوقت نفسه عناصر الخداع التعبوى للعدو. وهذا الأسلوب فى الحشد يعد من أصعب الأعمال العسكرية، وأكثرها تعقيداً فضلاً عن عدم مسايرته لما هو معروف من قبل عن العقيدة العسكرية المطبقة في مصر.

لقد كان الحشد الدفاعى عن قناة السويس يعتمد على خمس فرق مشاه وعلى فرقتين مدرعتين، بمجموع سبع فرق. وكانت فرق المشاه الخمس تتخذ مواقعها على الخط الدفاعى الأول الذى يبدأ من الضفة الغربية لقناة السويس مباشرة وبعمق عدة كيلومترات غرباً. أما باقى فرق الدفاع السبع ـ وهى فرقتان

مدرعتان - فقد كانت تتخذ مواقعها علي الخط الدفاعى الثانى أو النسق الثانى - كما يطلق عليه العسكريون - وتتجمع هذه الوحدات المدرعة خلف فرق المشاه الخمس على مسافة تتراوح ما بين ٢٠ و٢٤ كيلو متراً من شاطىء القناة الغربى.

وجاءت الخطة الهجومية لتعتمد على قيام خمس فرق مشاه باقتحام المانع المائى لقناة السويس طبقاً للقطاع المحدد لكل وحدة. وتم تحديد هذه القطاعات فى الخطة الهجومية ضمن الحدود المقررة لكل وحدة فى خطة الدفاع أى فى القطاع المكلف بالدفاع عنه.

وأدى ذلك الى استبعاد تحركات كثيرة قد يستلزمها الحشد الهجومى مما يساعد على عدم استطاعة العدو رصد الأوضاع الهجومية للقوات المصرية، واستمرار قناعته بالموقف الدفاعى المصرى.

ويكتمل هذا الخداع بالتعديل الذى تم ادخاله على نظم التعبئة واستدعاء الاحتياط وتكرار عمليات الاستدعاء مرات عديدة يعقبها تسريح من تم استدعاؤهم.

ولم يكن من الصعب على العدو أن يرصد استدعاء الاحتياط فى مصر وكل أشكال التعبئة. وهو ما كان يقوم فعلاً برصده وتحليله. وقد ظلت القيادة العسكرية الاسرائيلية تتلقى معلومات كاملة عن استدعاء الاحتياط فى مصر ثم تسريحهم. وخلال الأشهر العشرة التى سبقت الحرب رصدت القيادة الاسرائيلية ٢٢ استدعاءً لقوات الاحتياط المصرية.

ووجد ذلك ردود فعل سريعة لدى العدو الذى كان يبدأ فى

وضع خطة التعبئة الاسرائيلية موضع التنفيذ ويشرع في تنفيذ الحشد ليسفر ذلك فى النهاية عن لا شيء.

ويصف وزير الدفاع الاسرائيلى ـ موشى ديان ـ هذا السيناريو بأنه «اللعبة المصرية المفضلة». ويقول: ان لعبة استدعاء الاحتياط أصبحت اللعبة المفضلة لدى المصريين لأنهم يعرفون أن القوات الاسرائيلية الضاربة تعتمد بصورة أساسية على الاحتياط وأن تعبئة قوات الاحتياط فى اسرائيل تكلف الميزانية ملايين الدولارات في كل مرة ويؤدى الى شبه شلل كامل فى الحياة المدنية حتى تكاد الشوارع ومواقع العمل تخلو من الناس ومعهم معظم سيارات النقل العاملة في القطاعات المدنية.

ويؤكد هذا المعنى نفسه الجنرال زائيرا ـ مدير ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية الذى تولى هذا المنصب بعد الجنرال ياريف ـ ويعبر الجنرال زائيرا عن رفضه لاستدعاء أى قوات احتياط اسرائيلية كرد فعل للتعبئة المصرية قائلاً: «إننا نرفض الرقص فى كل مرة على أنغام المصريين».

ولم يعد الاسرائيليون يأخذون ما يجرى فى مصر مأخذ الجد وتميزت ردود أفعالهم بالتردد حتى انهم لم يتحركوا أمام الاستدعاء رقم (٢٠) لقوات الاحتياط فى مصر والذي تم قبل بدء مناورات الخريف. وتكرر ذلك أكثر من مرة خاصة مع الاستدعاء رقم (٢٢) الذى سبق المشروع التدريبى المصرى المعروف باسم «تحرير ٢٣» وأعقبه بعد ذلك الاستدعاء رقم (٢٣) لقوات الاحتياط المصرية الذى كان يبدو بصورة أقل جدية وبأنه مجرد

استـدعاء للتدريب المـعتاد وضـمن «اللعبـة المصرية المـفضلة» حسب تعبير الوزير الاسرائيلى.

وكان هـذا الاستدعـاء المصـرى يحاط بالـكثير مـن اجراءات التعمـية والخداع مثل فـتح باب سفر العـسكريين للخارج وتنظيم مسـابقات ثقافيـة ودينية لأفراد القـوات المسلحة ورصـد جوائز مالية كبيرة لحفظ القـرآن بين الجنود واعداد رحلات متتالية لأداء العمرة للضباط والجنود، تم تحديد مـواعيدها طوال شـهر رمضان ١٣٩٣هـ دون أن يعرف أحد أن الـعد التنازلى للحرب سيـبدأ قبل بداية رمضـان وأن اقتحـام قناة السويس سـيتم قبل العـاشر من رمضان.

وفى هذا المناخ العام تم الاستدعاء رقم ٢٣ وكان هو استدعاء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.



الحرب

# ٥

# السادات يلقى خطابا عن السلام بعد أن بدأ العد التنازلى للحرب

- القوات البحرية بدأت الحرب قبل خمسة أيام من موعدها
- وحدات المهندسين ابتكرت خلطة لإصلاح المطارات وألواح صلب لترميم الطرق
- وزير خارجية مصر يلتقى بوزير خارجية أمريكا وهو يجهل أن الحرب ستبدأ غداً

كان الدكتور عبدالهادى هو أول من هبط من سلم الدرجة الأولى بالطائرة «تى. دابليو. ايه» TWA القادمة من نيويورك. ووجد فى استقباله عند سلم الطائرة شاباً فى الحلقة الثالثة من عمره يرتدى بذلة بنية ويستقبله بابتسامة دافئة رغم أن هذا هو اللقاء الأول بينهما. ولم يكن ظلام التاسعة مساءً ليحول دون تعرف الشاب على الدكتور عبدالهادى الذى شاهد صورته قبل لحظات من وصول الطائرة.

وخرج الدكتور عبدالهادى برفقة الشاب الذى استقبله من صالة كبار الزوار بمطار القاهرة ليستقل سيارة «فيات - ١٣٠٠» من تجميع شركة النصر المصرية موديل ٧٣ وهو آخر موديل تم انتاجه من هذه السيارة. وبعد دقائق مرقت السيارة من مدخل استراحة القوات المسلحة للمدنيين بطريق صلاح سالم، لتلحق بهما سيارة أخرى تحمل الحقيبة الوحيدة التى جاء بها الدكتور عبدالهادى من أمريكا.

وفى الموعد المحدد للقاء الدكتور عبدالهادى مع رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ،وجد الضيف ثلاثة رجال

فى انتظاره منذ الثامنة والنصف صباحاً فى مبنى القيادة بمدينة نصر، ليكتمل عددهم خمسة داخل الغرفة الملحقة بمكتب رئيس الأركان، وكان هو أول المتحدثين.

قال إن الدكتور عبدالهادى عالم مصرى كبير يحمل الجنسية الأمريكية ويعمل أستاذاً فى جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية ويتطلع إلى المشاركة فى تدعيم قواتنا المسلحة بأحدث الأبحاث العلمية التى يمكن أن تعاوننا فى معركتنا. ولم يكن أحد يعرف أن ادارة المخابرات الحربية قد أرسلت تقريرا من بضعة أسطر إلى رئاسة الأركان قالت فيه إن الدكتور عبدالهادى على صلة وثيقة بأجهزة المخابرات المركزية الأمريكية التى تحرص على توثيق علاقاتها بكل الباحثين فى الجامعات الأمريكية ومنهم الدكتور عبدالهادى. ولم يكن ذلك يعنى تشكيكاً في ولائه لمصر كما لا يعنى الاطمئنان اليه اطمئناناً كاملاً.

قال رئيس الأركان إن الدكتور عبدالهادى أرسل إلى القيادة المصرية يخبرها عن اختراع نظام جديد يمكن بواسطته اكتشاف المعادن والسوائل تحت سطح الأرض بواسطة معدات خاصة يمكن تركيبها فى الطائرات. وقد استخدمت بعض شركات البترول هذه التجهيزات في البحث عن البترول ، وأطلقت على ذلك اسم «الاستشعار عن بعد» وان تلك الوسائل الحديثة جداً يمكن استفادة القوات المسلحة المصرية منها فى الكشف عن الدبابات والعربات المدرعة التى يتم اخفاؤها وتمويهها. وتعتمد النظرية على أن درجة الحرارة التى تعكسها المعادن تختلف عن غيرها،

وبالتالى يسهل بهذه الأجهزة الحديثة اكتشاف حجم وموقع المعدات المختفية. وأبدى الدكتور عبدالهادى استعداده للعمل مع العلماء المصريين لتزويد بعض طائراتنا بهذه الأجهزة، مساهمة منه فى الاعداد لحرب تحرير سيناء.

وتم الاتفاق خلال الاجتماع على خطة عمل تستغرق خمسة أشهر اعتباراً من شهر يولية ٧٣ ، ولتكون أجهزة الاستشعار عن بعد جاهزة ضمن تجهيزاتنا للعبور خلال الشهور الأولى من ١٩٧٤م.

وتم بالفعل الأخذ بهذه الخطة. وعاد الدكتور عبدالهادى إلى أمريكا ليعمل باجتهاد وقد رسخ في وجدانه وتأكد لديه أن حرباً لن تنشب قبل نهاية عام ١٩٧٤م. لكنه فوجىء مثل غيره بالهجوم المصرى ـ السورى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

واذا كانت خطة تزويد قواتنا بوسائل الاستشعار عن بعد قد تمت بعد معركة ٧٣ بشهور طويلة، فان سائر التجهيزات ومعدات العبور كانت جاهزة قبل الحرب بفترة كافية. وكان من بينها ما حقق مفاجآت بالغة للعدو فى اطار خطة الخداع. ومن هذه الاستعدادات والتجهيزات اللواء البرمائى الذى لم يعرف عنه العدو شيئاً الا بعد أن عبر هذا اللواء البحيرات المرة ليفاجىء العدو من الشاطىء الشرقى للبحيرات.

وعندما صدر قرار تشكيل هذا اللواء فى بداية عام ٧٢ جاء فى حيثيات القرار أن الهدف من هذا اللواء هو دفعه في عمق العدو عبر البحيرات أو من البحر وتكون مهمته شل مراكز قيادة العدو

أو ارباكها وتعطيل تقدم الاحتياطيات من خطوط العدو الخلفية فى طريقها لمـواجهة قواتنا بعـمليات هجوم مضـاد.ووضـعت القيادة العـامة هذا اللواء ضـمن خطة الخـداع والمـفاجـأة. لقد كـان من المـقرر أن المـعديات سـتقـوم بنقل الدبابات من غـرب القناة إلى الضفة الشـرقية طبقاً لجـداول توقيتات تجـعل هذه الدبابات غير مستعدة للعمل والقتال قبل الساعة: س + ٥ (أى بعد سـاعة الصفر بخـمس سـاعـات ) فى حـين يسـتطيع اللواء الـبرمـائى عـبـور البحيـرات فى أقل من ساعة واحدة ، وباعداد كـبيرة من الدبابات والعربات مـما يشكل تهديداً خطيـراً لقيادات العـدو واحتيـاطياته المتحركة.

ووضعت خطة تدريب اللواء البرمائى على هذا الأسـاس. وعكف افراده على التدريب لشـهور طويلة. وشملت عمليات التدريب عبور برمـائيـات لنقل قـوات من المشـاه المـيكانيكيـة وبأسلوب عـمل الوحدات الخاصة.

وفى ليلة ١٨ ـ ١٩ يولية ٧٣ تم الاختـبار النهائى لقدرات هذا اللواء فى منطقة التـدريب غرب الأسكندرية وبقي فى ميـاه البحر لأكثر من خمس ساعـات، ونجح فى الابرار على الشاطىء والتقدم براً لتنفيـذ مهمتـه في صد وعرقلة القوات المـعادية المتقـدمة من العمق. ولأن العملية التدريبية كانت أشق كـثيراً من المهمة القتالية التى سـيواجـههـا هذا اللواء ، فـقد أسـفر التـدريب عن خسـارة مركبتين وفقد عشرة أفراد تم العثور على سبعة منهم فى الصباح وتأكـد استشـهاد ثلاثة. وهكـذا قدم اللواء البـرمائى أول شـهداء

العبور قبل المعركة بأكثر من ستة أشهر، لكن خسائره في عملية العبور الحقيقية كانت فرداً واحداً.

وكانت التشكيلات الجدية التى تم تكوينها قبل الحرب تمثل مفاجأة بالغة للعدو بالاضافة إلى تجهيزاتها غير المتوقعة. وكما تم تشكيل اللواء البرمائى الذى فوجىء العدو به وراء خطوطه كانت هناك وحدات مهندسين جديدة انضمت إلى الوحدات الأصلية في كل التخصصات.

وكانت هذه الكتائب مجهزة بمعدات مستحدثة كما كان بعضها يعمل بوسائل بدائية استخدمتها الجيوش فى العصور الوسطى مثل سلالم الحبال التى صعد عليها جنود المشاه وتسلقوا بها الساتر الترابى، ومثل عربات يد بدائية تتحرك على عجلتين يحمل عليها الجنود معداتهم التى لا تتحملها ظهورهم. وتم تصنيع هذه العربات فى مصانع ادارة المهمات المصرية.

وكانت المفاجأة أكبر من أن يستوعبها العدو الذى خدع نفسه قبل أن يخدعه الآخرون. ووضح ذلك في اجتماع ادارة العمليات الاسرائيلية فى سبتمبر ٧٣ عندما عكف قادة العدو على دراسة عمليات استدعاء الاحتياط المصرى ثم تسريحه، وارتباط ذلك بتحرك وحدات متعددة غرب القناة مع ظهور عربات كبارى ومعدات عبور موانع مائية ضمن مهمات وتجهيزات القوات المصرية غرب القناة.

وفى ذلك الاجتماع درس القادة الاسرائيليون احتمالات الحرب، ومدى الاحتياجات الهندسية لاتمام عملية عبور محدودة.

وتحدث الجنرال اليعازر عن الاحتياجات الهندسية للمصريين من أجل عملية عبور محدودة فى قطاعات معينة ـ وقال إن هذه الاحتياجات لا تتوافر لأى جيش فى العالم. وأكد ذلك الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى قائلاً : « اذا أراد المصريون عبور قناة السويس فيلزمهم سلاح المهندسين الأمريكى وسلاح المهندسين السوفيتى ـ مجتمعين ـ لمساعدتهم على ذلك».

وهذا الكلام الذى تردد فى اجتماع القادة الاسرائيليين قبل العبور بأسابيع قليلة عكس ثقة الجنرال « اليعازر » يومها، وجاء ذكره فى يومياته التى نشرها بعد معركة العبور بعدة أشهر.

وفى هذا الاجتماع أشاد كبار الضباط الاسرائيليين بمعدات قذف كميات كبيرة من السوائل الملتهبة من تحت سطح الماء فى القناة لتطفو فوق السطح ويتم اشعالها لتتحول القناة إلى بحر من اللهب. وتعرضوا للآثار النفسية الكبيرة لذلك بالاضافة إلى عجز الأفراد عن العبور فوق نيران مشتعلة.

وبينما كان هذا الحديث يدور فى قاعة الاجتماعات الرئيسية بوزارة الدفاع كان ضباط هيئة العمليات المصرية يعدون للمفاجآت المضادة التى تكمل خداع العدو الذى خدعه اطمئنانه.

كان التصور الأول لمواجهة النيران المشتعلة فوق سطح القناة هو نزول وحدات صغيرة من الأفراد داخل مركبات برمائية. وينتشر الأفراد على أجناب كل مركبة ويحمل كل فرد واحدة من سعف النخل المعروف باسم «الجريد» ليضرب بها النيران

المشتعلة حتي تتحول الي جزر من اللهب يسهل اطفاؤها. وفشلت التجارب. ولم ينجح الجنود أثناء التدريب فى مواجهة النيران بسعف النخل رغم أن كميات السوائل المشتعلة كانت أقل من المتوقع مواجهته خلال العبور الفعلى. وتم اعادة التجربة باستخدام مواد اطفاء كيماوية. واستلزم ذلك جهداً ووقتاً جعل العمليات تتحول من معركة عسكرية، وعبور لمانع مائى صعب إلى عملية اطفاء حريق أشعله العدو فوق القناة وحاولنا نحن أن نطفئه.

وعلى ضوء نتائج هذه التجارب المتكررة تقرر أن تكون الخطة هى حرمان العدو من استخدام هذا السلاح الجهنمى مع خداعه وايهامه بصلاحية هذا السلاح ومفاجآته بتجهيزات معطلة تُخرج سلاح الحريق من المعركة قبل بدايتها.

وتم عقد اجتماع ضم قائد القوات الخاصة وقائد الضفادع البشرية ومدير سلاح المهندسين وأحد ضباطه ومدير التخطيط بهيئة العمليات. وتم فى هذا الاجتماع استعراض كل التجارب والمحاولات المعدة لمواجهة اشعال العدو للحرائق فوق سطح القناة ونتائج التجارب التى أُجريت فى أكثر من موقع ، وتم خلالها استخدام عشرات الأطنان من السوائل المشتعلة التى تمثل نوعاً من أنواع النابالم ـ أقل كثافة من مياه القناة ـ لضمان الطفو فوق السطح.

وتقرر وقف كل محاولات اطفاء الحريق والتركيز على حرمان العدو من فرصة استخدام هذا السلاح.

وعلى ضوء المعلومات المتوافرة من الاستطلاع وادارة المخابرات، شرح ضابط المهندسين تفاصيل التجهيزات التى يعتمد عليها العدو، والتى تتكون من ثلاثة أجزاء.. هى خزانات تحت مواقعه الحصينة يسع كل خزان منها ٢٠٠ طن من المواد المشتعلة. والجزء الثانى أنبوبة تصل بين هذه الخزانات وسطح مياه القناة. وأخيراً معدات السيطرة التى تتولى فتح خزانات «النابالم» واشعالها. ولو تم افساد أى جزء من تلك الأجزاء الثلاثة فان العدو سيفشل فى خطته. واستبعد المجتمعون امكانية تدمير الخزانات بواسطة المدفعية لأنها مدفونة جيداً فى الرمال، ومعها أنابيب نقل السائل إلى القناة المدفونة أيضاً تحت سطح الأرض. لكن فتحات هذه الأنابيب كانت ظاهرة تحت سطح الماء وكانت قواتنا تراها بوضوح من غرب القناة عندما يكون هناك «جزر» وينخفض مستوى سطح الماء فى القناة. وأصبح الحل هو سد هذه الفتحات قبل العبور ، خاصة أن أماكنها محددة لدينا وهناك صور لها بين أيدينا، بالاضافة الي معلومات تفصيلية قدمها المهندس الاسرائيلى الذى استطاعت دورية خطف أسير مصرى والعودة به من شرق القناة.

وتم وضع الخطة من ثلاث مراحل. المرحلة الأولى : ارسال وحدات خاصة من الضفادع لعبور القناة من تحت سطح الماء والقيام باغلاق الفتحات وسدها قبل أول ضوء من اليوم (ى) وهو يوم العبور. والمرحلة الثانية: هى وضع هذه الخزانات ضمن أهداف تحضيرات المدفعية على أمل النجاح فى ضربها. والمرحلة الثالثة: تكون فى بداية المعركة بحيث تظل نقاط عبور القناة فوق

اتجاه التيـار عند كل خزان حتى اذا نجح العدو فى اسـتخدام هذا السلاح فـان النيران تظل متـجهة بـعيداً عن المـوجات الأولى من عبور الأفـراد. وفى جميع الأحوال يتم تأخـير نزول الوحدات إلى الماء لفترات تتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ دقـيقة بعد ظهور اللهب فوق الماء وتحـاشى تأثيرها حتى ينـتهى أثرها.. أو تجاهلهـا فى حالة ضعف تأثيرها.

وقـــد تحـقـق النجـاح خـــلال المـــرحلة الأولى مــن الخطة ، واستطاعت الـقوات الخاصـــة اغلاق الفتـحات وســدها. وكان ذلك مفــاجأة من مفـاجآت خـداع العدو، مثلمـا فاجأته مـراحل تعبـئة القوات وخطة تحريك معدات العبور.

لقد تم تطوير خطة استدعاء الاحتياط حتى أن حوالى ٨٠٪ من الأفراد الذين يتم اسـتدعاؤهم يصلون فى اليوم الأول للاسـتدعاء وخلال الشـــهور العشرة الأولى من عـام ٧٣ تم تنفيذ ٢٢ عـملية استدعاء لقـوات الاحتياط المصرية. وكـان الاستدعاء رقم ٢٣ هو استدعـاء للحرب تم فى اطار استدعـاء خداعى باعتباره اسـتدعاء للاشـتراك فى العـمليات التـدريبـية لمناورات «تحـرير ٢٣» التى تحولت إلى «بدر» وهو اسم الخطة الهجومية لعبور القناة.

واتفق واضـعو خطة الهـجوم علـى أن يتم العبـور بطول قناة الســويس وعلى امـتداد ١٧٥ كـيلو مـتراً لأن ذلـك سيـؤدى إلى اضعاف أو تجميد مصادر تفوق العدو. ويساعد على خداعه بحيث لا يسـتطيع اكتـشـاف الاتجـاه الرئيـسى لقوات الهـجوم ويحـرم اسرائيل من تـركيز جـهود قواتهـا الجوية فى اتجـاه محدد مـما

يضعف كثيراً من تأثير النشاط الجوى الـمعادى، ويضطرهم إلى شن الهجمات المضادة على جبهة متسعة فى وقت واحد كما سيؤخر ردود الفعل لدى العدو حتى يكتشف اتجاه المجهود الرئيسى المصرى. وهذا معناه ارتباكه وتأجيل ضرباته المدرعة واتاحة مزيد من الوقت أمام القوات المصرية التى تعبر القناة.

ومع بداية العد التنازلى لليوم (ى) كانت الوحدات الضاربة تنتشر فى مواقعها بطول القناة. وكانت معدات العبور والجسور والكبارى تتحرك من الغرب إلى الشرق نحو الجنوب ونحو الشمال. ورغم أن ذلك يمثل التزاماً بالخطة الموضوعة، لكنه أيضاً كان يشكل استمراراً في الخداع. وبات العدو متأكداً من أن ما يجرى لا يمكن أن يكون اعداداً لحرب شاملة بطول جبهة تمتد لأكثر من ١٧٠ كيلومتراً، وانما هو تدريبات لكل الوحدات المصرية المشاركة في مناورات «تحرير ٢٣» لأن ما يتوافر من تجهيزات ومعدات العبور قد يتيح امكانية العبور من محور رئيسى أو محورين وهذا يتعارض مع كل ما يجرى غرب قناة السويس.

وهذا ما تداوله المجتمعون فى قيادة الجيش الثانى بالقطاع الأوسط من قناة السويس وفى قيادة الجيش الثالث الميدانى بالقطاع الجنوبى من القناة. لقد لاحظوا أن العدو يعرف تحركاتهم ويتابعها. لكنه بالتأكيد لا يفهم معناها.

وكان ذلك وراء الكلمات التى رددها الرئيس أنورالسادات في خطابه في اليوم (ى ـ ٨) أى قبل الحرب بأسبوع واحد وحرص

خلاله على تحمل نصيبه فى خداع العدو.

فى ذلك اليوم احتـفلت القوات المسلحة بذكـرى الرئيس جمال عبدالناصر. وذهب كل القادة وكبار الضـباط فى الصباح، ليضعوا أكالـيل الزهور على قبـر الزعيم الراحل وقـراءة الفاتحـة. وتوالى ظهور القـادة أمام عدسات التـصوير فى احتـفالات مختلفـة منها توزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم من أبناء القوات المسلحة وتوديع الفـوج الأول من أبناء القوات المـسلحة الفائزيـن بجوائز عمرة رمضان.

وكان هذا يبـدو وكأنه عدم جـدية من كبار القـادة فى الإعداد للمناورات التدريبية التى عرف الجميع أنهـا ستجرى فى الفترة ما بين أول أكتوبر وحتى ٧ أكتـوبر ١٩٧٣ في حين أن عدداً محدوداً جداً من الأفراد كانوا يعرفون أن يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ سيكون هو (ى + ١) أى اليوم الثانى من الحرب.

وكمـا ظهر كبـار القادة أمام عـدسات المـصورين وكامـيرات التليفزيون يحتفلون بالجوائز ويزورون قبر عبدالناصر، فقد كانوا جـميـعـاً أمـام العدســات وتحت الأضــواء فى احـتفـال الاتحـاد الاشتراكى بهذه المناسبـة والذى أقيم فى المساء. ووقف الرئيس أنورالسـادات يتـحـدث عن المـشكلات الـتى ورثهـا وعن البنيـة الأسـاسيـة التى يعيـد بناءها والمـرافق المـتهـالكة التى لابد من تجديدها. وتحدث بتركيز عن اعادة بناء القوات المسلحة وحرصه على سلامتها وعدم خوض مغامرة عسكرية قبل أن يوفر المعدات الحديثة لأبنائه المـقاتلين. وردد العبارة العجـيبة التى أدهشت كل

المحللين ومنهم ـ أو أولهم ـ المحللون الاسـرائيليون وهي عبارة «لن أدفع بأبنائى إلى الحرب قبل أن أضع الالكترون فى أيديهم».

وعجـز عبـاقرة التحليل عن تـصور الواقع على حقـيقـته. ولم يخطر على بال أحـد فى اسرائيل أن هذه الكلمـات يرددها الرئيس المـصرى فى اليـوم (ى ـ ٨) ليلة السـبت الذى ستنطلق شـرارة الحرب يوم السبت الذى يليه.

وعقب هذا الخطاب خرج الضـباط ليتجهوا إلى مـقار قياداتهم، واتجه كـبار القـادة إلى مركز القـيادة العـامة فى نقطة العـمليات الرئيسية التى تعرف باسم «المركـز رقم ١٠» لمتابعة حركة العد التنازلـى الى أن يحل اليـوم (ى) الذى سـيـنضم فـيـه الرئيس السـادات اليهم.

وبدأت التمامات تصل من كل مكان..

وجاء التمام بوصول وحدات اصـلاح الممرات الي كل القواعد الجـوية مـزودة بالخلطة الجـديـدة التي توصل اليـهـا الـعلمـاء المصـريون. وهذه الخلطة بدأ إعدادها داخل معـامل وزارة البحث العلمي بالاشتراك مع سلاح المهندسـين منذ ستة أشهر، توصلوا بعدها الي مـزيج من الأسفلت والأسمـنت سريع التصلب بنسـبة معـينة. وهذه الخلطة ثبت نجـاحهـا فى اصلاح ممـرات الطائرات بسرعـة قياسـية يستـرد بها المطار كـفاءته عند قصف المـمرات بواسطة طائرات العـدو مما يتـيح لطائراتنا الانطلاق بينمـا العدو يتصور أنه أخرج هذه القاعدة من المعركة لمدة يوم كامل.

وأبلغت فـرق التعامل مـع القنابل الزمنية والشـراك الخداعـية

بوجودها فــى المواقع المحــددة لها بمــا فى ذلك المطارات. وهذه الفرق مزودة بأجهزة متقدمة للتعامل مع القذائف والقنابل التى لم تنفجر ومــعها أوامر مســتديمة بالتعامــل الفورى مع هذه القذائف والقنابل المــوقــوتة لإبطال مــفعــولهــا دون تفجـيــرها أو انتظار انفجارها. ولم يعـبأ أحد بالخطر الذى يتوقعه نظراً لاعـتماد العدو على الأثر النفسى للقذائف الموقوتة والشــراك الخداعية. واستطاع رجال هذه الفرق تجاوز كل الآثار النفسية بروح فدائية.

وتلقت القيــادة ما يفيــد وصول فرق اصــلاح الطرق إلى نقاط تمركــزها، ومعهــا ألواح الصلب التى تم ابتكارها للاســتــخدام فى اصلاح الطرق التى تتــعرض للقذف الجــوى أو لقصــف المدفعــية، كمــا تم الابلاغ عن وصول وسائل التــحرك من نقاط تمــركز هذه الفــرق الي أى مكان يحتــاج إلى اصلاح الطريق منه واليــه. ويبلغ مـجموع أطوال هذه الطرق التى تغطيها فرق الاصلاح ٢١٠٠ كيلو متر تمــتد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمــالاً بما يزيد ثلاثين مرة على طول قناة الســويس نفســها.وصــدرت الأوامر بتــحريك المــعدات ومهمــات العبور فى اتجاه نقاط العــبور لتكون جاهزة للنزول إلى الماء مع الساعة صفر.

وتلقت القـــيــادة الرقم النهــائى بوجــود ٢٥٠٠ قارب جــاهزة لحــمل الأفــراد إلى الضــفة الشــرقــيــة ونصف هذه القــوارب تم تصنيعها محلياً وتم استــيراد النصف الآخر من الاتحاد السوفيتى على مراحل.

وخــرجت من المــخــازن وورش المهــندسين سلالم الحــبال

وزلأقات الصاج لتكون فى أماكنها بين أيدى الجنود.

وشملت التمامات الصاعدة من قيادة إلى أخرى الانتهاء من نقل المدافع الخفيفة المضادة للدبابات والرشاشات المتوسطة والرشاشات المضادة للطائرات وصناديق الذخيرة وسائر الأسلحة والمعدات التى ستنقل إلى الضفة الشرقية للقناة خلال الساعات الأولى للمعركة.

واتخذت الطلمبات التوربينية التى تعمل بالوقود العادى مواقعها بمعدل ثلاث طلمبات لكل ممر سيتم فتحه في الساتر الترابى شرق القناة ، طبقاً لخطة تحرك وحدات العبور التى تساندها ٨٠ وحدة مهندسين.

وفى الساعة الثامنة من صباح (ى - ٥) الموافق أول أكتوبر ١٩٧٣ تم رفع حالة الاستعداد الكاملة. وصدرت أوامر القيادة العامة بوجود القيادات داخل مراكز السيطرة والقيادة على مختلف مستوياتها وذلك ضمن الاجراءات التى تستلزمها أغراض التدريب لتنفيذ المشروع الاستراتيجى التعبوى «تحرير ٢٣».

وتحت ستار التدريب استمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجومية واعادة التجميع والفتح التعبوى. وتم رفع كفاءة التجهيز الهندسى لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات.

وبدأ فتح وحدات الأسطول المصرى من المدمرات والغواصات لتأخذ أوضاعها الأخيرة في القطاعات المحددة لها، بما فى ذلك وحدات الأسطول التى تحركت تحت ستار الزيارة الودية للموانىء الصديقة فى الهند.

وكان هذا التحرك حلقة مهمة فى سلسلة الخداع.

لقد كان من المقرر إغلاق الطريق البحرى إلى ميناء ايلات الاسرائيلى مع بداية العمليات باعتباره الطريق الرئيسى لامداد اسرائيل بالبترول من ايران.

ولم يكن من السهل تحقيق ذلك من منطقة شرم الشيخ والمدخل الجنوبى لخليج العقبة لأنه فى يد العدو الاسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ ويقع تحت سيطرته التامة. وكان البديل هو الاغلاق من المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عند مضيق باب المندب جنوب اليمن. وبدأ تنفيذ ذلك تحت ستار زيارة ودية للموانىء الهندية.

وتحركت الوحدات البحرية الموجودة في السويس بعد أن أعلنت الهند عن زيارة مقررة لبعض قطع الأسطول المصرى. واتجهت القطع المصرية نحو الجنوب لتعبر باب المندب وتدخل المحيط الهندى.

وقبل بدء العمليات، وعندما حل اليوم (ى) دخلت قطع الأسطول المصرى إلى المضيق وأعلنت اغلاق الطريق البحرى إلى اسرائيل ومنع مرور ناقلات البترول المتجهة فى البحر الأحمر إلى ايلات؛ لتعويض البترول الذى تستهلكه اسرائيل خلال العمليات الحربية.

وتلقت غرفة العمليات ما يفيد اغلاق طريق امداد اسرائيل بالبترول الايرانى؛ والذى كان يصل إلى ١٨ مليون طن سنوياً يعاد تصدير بعضه إلى أوروبا. وكان ضمن بلاغات التمام الصادرة عن القوات البحرية المصرية بث الألغام فى خليج

السويس واغلاقه أمام النشاط البحرى المعادى.

وهكذا كانت الحرب قد بدأت بالفعل بالنسبة لبعض الوحدات قبل ساعة الصفر بخمسة أيام، عندما وقفت قطع البحرية قرب مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر، وخرجت الغواصات المصرية من قواعدها فجر اليوم الأول من أكتوبر ١٩٧٣ لتتخذ أوضاع القتال أمام سواحل سيناء.

وكانت الأوامر تقضى بفرض الصمت اللاسلكى الكامل على هذه الوحدات البحرية لحين صدور اشارات خاصة اليها - لن تصدر الا بعد ساعة الصفر.

وكان للوحدات البحرية دور رئيسى في خطة الخداع. لقد كان عليها أن توجه ضربات مركزة من البحر إلى مراكز قيادة العدو ونقاط سيطرته شرق بورفؤاد فى بالوظة ورمانة مع تمثيل عمليات انزال من البحر يكملها هجوم خادع من معبر شمال القنطرة. وكان ذلك كفيلا بايهام العدو بأن هذا هو أحد المحاور الرئيسية للهجوم المصرى.

وكانت هناك تمثيلية مشابهة تم الاعداد لها شرق البحيرات المرة بواسطة اللواء البرمائى الذى سيعبر البحيرات ويتجه شرقاً نحو منطقة المضايق مما يوحى بوجود محور رئيسى للهجوم. ومن هذا المحور الخادع تنطلق سرية ميكانيكية برمائية مع عدد من الدبابات فى اتجاه ممر متلا، وسرية أخرى فى اتجاه مضيق الجدى؛ لتبث الذعر فى مواقع العدو وتضعف سيطرته علي قواته، وتعود بعد ذلك لتنضم إلى وحداتها الرئيسية شرق القناة.

وأبلغت قوات الصاعقة عن تمام استعدادها للانتقال جواً إلى عمق العدو لعرقلة طلائع الهجوم المضاد بعد اتمام عمليات العبور.

وبثت وكالات الأنباء من رومانيا ومصر خبراً عن قيام وزير الدفاع الرومانى بزيارة رسمية إلى مصر - وكان ضمن جدول الزيارة الرسمى اجتماعه بوزير الحربية المصرى يوم الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣. وحضور مأدبة عشاء رسمية. ونشر فى كل الصحف هذا الخبر. ونشرت جريدة «الأهرام» خبراً آخر عن تعليمات من وزير الحربية«ب» بشأن اعداد سجل لتسجيل أسماء الضباط الراغبين فى أداء العمرة فى رمضان.

وفى نيويورك كانت تجرى أحداث تبدو عادية لكنها لعبت دورها فى الخديعة. لقد كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعقد جلساتها فى نيويورك، وكان وزير خارجية مصر - محمد حسن الزيات - يرأس وفد مصر فى هذه الاجتماعات. وتلقى الوزير المصرى رغبة وزير الخارجية الأمريكى - هنرى كيسنجر - الاجتماع به فى نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة يوم الجمعة الخامس من أكتوبر ليناقش معه الموقف العام فى الشرق الأوسط.

واتخذ الرئيس السادات قرارا بعدم ابلاغ وزير الخارجية محمد حسن الزيات بموعد الهجوم المصرى وتكليفه بمناقشة المبادرات السلمية المتوقعة مع وزير خارجية أمريكا ومحاولة

اقناعه ببذل المزيد من الجهد فى سبيل الحل السلمى.

لكن التفاؤل بنجاح خطة الخداع لم يكن كاملاً.

وظهـرت علامــات وبوادر وتحركـات تشـير إلى أن اسـرائيل تعـرف أن الحرب على وشك أن تندلع وأن المـصريين استـعدوا لعبور القناة.

الخديعة

٦

# خطة الخداع فى أكتوبر بدأتها مصر فى مايو

- مصدر عربى أيقظ رئيسة وزراء إسرائيل ليخبرها بموعد الهجوم المتوقع
- توقف رحلات مصر للطيران هدد بانهيار خطة الخداع المصرية
- إسرائيل شعرت بالخطر يوم ترحيل أسر السوفييت من مصر وسوريا
- مصر تعلن عن هجوم إسرائيلى على الزعفرانة قبل الحرب بنصف ساعة

**عندمــا هبطت طائرة جـولدا مــائيـر فى مطار بن جوريون مساء يوم الثلاثاء الثانى من أكتوبر ١٩٧٣ قادمة من فيينا ، وجدت رئيسة الوزراء فى انتظارها تقريراً يتضمن تفاصيل المعلومات التى سبق إبلاغها بها خلال زيارتها للنمسا.**

كان الهـدف من التقـرير اقناع رئيســة الوزراء بمناقشــة فكرة استــدعاء الاحــتيــاط الاسرائيلى. وكــانت هى فى قــرارة نفســها تعارض الفكرة من أساسهــا دون أن ترفض فكرة المناقشة. وكان شاغلها الأول فى هذا اليوم هو قرار المستشار النمساوى الدكتور برونو كـريسكى اغلاق مـركز استــقبــال المهــاجرين اليـهود من الاتحاد الســوفيـتى والمقــام فى قلعة «شــونو» قرب فيـينا والتى ينتقل منها المــهاجرون اليهود بالاتوبيسات إلى المـطار ليستقلوا طائرات شركة «العال» إلى إسرائيل.

وفى النمســا كانت جـولدا مائير قــد استقـبلت حامل التـقرير الوزير «يزرائيل جــاليلى» يوم الاثنين أول أكتـوبر وقال لهــا: إنه اجتمع مع مــوشى ديان وبحث معه ضرورة مناقـشة الموقف فى الجولان. وأكدت جولدا مــائير انها ستفعل ذلك فـور وصولها فى الغد إلى تل أبيب.

لكن الاجتماع انعقد صباح الأربعاء ٣ أكتوبر. ولم يخطر ببال أحد من المجتمعين أن هذا هو اليوم (ى - ٣) أى قبل الحرب بحوالى ٧٠ ساعة.

ضم الاجتماع وزير الدفاع موشى ديان والجنرال ديفيد إليعازر رئيس أركان القوات الإسرائيلية الشهير بلقب «دادو» ويزرائيل جاليلى وزير الدولة ومستشار رئيسة الوزراء والجنرال إلى زائيرا مدير المخابرات الحربية (لوكادرا) ولم تستطع رئيسة الوزراء جولدا مائير تجاهل الحديث عن رحلتها الفاشلة إلى النمسا وقالت إن الهجوم الذى شنه الفلسطينيون على القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين اليهود دفع المستشار كرايسكى إلى إغلاق معسكر «شنو» ووقف استقبال يهود الاتحاد السوفيتى ونقلهم إلى إسرائيل.

وتدخل «دادو» وهو رئيس الأركان ديفيد إليعازر ليفرض على المجتمعين العودة إلى الموضوع الرئيسى فى جدول أعمال هذا الاجتماع.

قال إليعازر أن الموقف على الجبهتين المصرية والسورية لا يمثل خطورة. ومن المستبعد وقوع هجوم مصرى - سورى مشترك. لقد قام السوريون بحشد قوات إضافية على الجبهة منذ المعركة الجوية التى سقطت فيها ١٢ طائرة لكنهم لم يتمكنوا من القيام بهجوم منفرد. أما الجبهة المصرية فتشهد حلقة من حلقات تحركاتها المستمرة طوال العام وهى تقوم بمناوراتها السنوية

التى تشمل نقل قوات مختلفة من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق.. وبالعكس.

ولا نوصى بالموافقة على استدعاء قوات الاحتياط.

وتحدثت جولدا مائير عن تجاربها السابقة مع المصريين. قالت إنها لا تريد أن تكرر تجربة شهر مايو الماضى. لقد سجلنا يومها تحركـات مصـرية واسعة، وتم رصـد العديد من مـعدات العـبور والكبارى المـحمولة وهى تنقل من العـمق إلي الجبهة المـصرية. وتلقـينا معلومـات وثيقة عـن تحرك معـدات العبـور على الطريق القـريب من مطار القـاهرة فى اتجـاه السـويس. وشـاهدها أحـد الملحـقين العـسكريين فى القاهرة من أصـدقائنـا. ويومها قـالت أجهـزة مخـابراتنا أن الحرب لن تندلع مـن جديد وأن المصـريين غير قادرين على عبور القناة لا الآن ولا مـستقبلاً. ورغم ذلك فقد قررنا يومها أن نأخذ الأمر بجدية. وانتقلت بنفسى ومعى عدد من الوزراء ومعنا حاييم بارليف وزير الصناعـة إلى المركز الرئيسى للمخـابرات العسكرية؛ لنـناقش تفاصيل المـوقف ونعد للتـعبـئة. ولكن شيئاً لم يحدث. وما نراه الآن على الجبهة المصرية أقل مما تم رصده فى مايو المـاضى. وما دام أحد لم يطلب التعبـئة فإننى أيضاً لن أفكر فيها.

وسيعقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجـتماعه المعتاد بعد ثلاثة أيام يوم الأحد ٧ أكتوبر عقب إجازة العيد وسنواصل يومها بحث الموقف بكل أبعاده وتطوراته اللاحقة.

وبينما كان المجتمـعون يغادرون مكتب رئيسة وزراء إسرائيل

كانت أحداث اليوم (ى - ٣) تتلاحق داخل مراكز القيادة والسيطرة على الجبهة المصرية مع اتمام الحشد على محاور الجيشين الميدانيين الثانى والثالث.

واستكملت وحدات المهندسين استعداداتها لفتح ٧٠ ثغرة فى الساتر الترابى بحجم ١٥٠٠ متر مكعب لكل ثغرة وإنشاء ١٠ كبارى ثقيلة لعبور الدبابات والمدفعية الثقيلة و٥ كبارى خفيفة تماثل تماماً فى شكلها الكبارى الثقيلة ولكن الهدف منها جذب نيران العدو وخداعه وصرف انتباهه عن مناطق العبور الرئيسية بالإضافة إلى ١٠ كبارى اقتحام لعبور المشاه صنعتها إدارة المهمات المصرية. كما تم تجهيز ٧٢٠ قارباً مطاطياً للمشاه مع ٣٥ معدية عبور. وأصبح من المتوقع الانتهاء من فتح الثغرات وتشغيل المعديات الساعة (س + ٥) قد تتأخر فى بعض المواقع بفعل نيران العدو لتصل إلى (س + ٧) أى الساعة التاسعة مساء السبت ٦ أكتوبر.

وفى ذلك اليوم - يوم الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣- وهو اليوم (ى - ٣) هبطت طائرة عسكرية في إحدى القواعد الجوية السورية قرب دمشق وكان عدد ركابها اثنين فقط هما الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرى واللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان القيادة المصرية - السورية الاتحادية. ونقلتهما سيارة مرسيدس تحمل أرقاماً مدنية (خصوصى) إلى الاستراحة القريبة من المطار ليكون فى انتظارهما وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس.

وسر هذا الاجتماع يرجع إلى رغبة القيادة السورية تأخير اليوم (ى) لمدة ٤٨ ساعة لاستكمال الحشد وتهيئة الجبهة الداخلية للحرب، والانتهاء من تفريغ صهاريج البترول فى مصفاة التكرير بمدينة حمص. لكن المناقشة أسفرت عن بقاء اليوم (ى) هو السبت السادس من أكتوبر باعتباره أنسب الأيام لتحقيق المفاجأة واستغلال إجازة يوم الغفران (عيد كيبور) عند اليهود، بالإضافةِ إلى أن الحرب كانت قد بدأت فعلاً بالنسبة لبعض الوحدات المصرية ، ومنها الغواصات والقطع البحرية التى غادرت قواعدها مع فرض الصمت اللاسلكى عليها واستحالة الاتصال بها.

وعاد وزير الحربية المصرى إلى القاهرة ليجد مفاجأة في انتظاره. لقد تبين أن شركة «مصر للطيران» قامت بإلغاء رحلاتها الجوية وبدأت في تنفيذ إخلاء طائراتها من مطار القاهرة كما أصدرت تعليمات لطائراتها فى الخارج بالبقاء حيث هى وعدم القيام برحلاتها المقررة إلى القاهرة.

ويرجع هذا التصرف إلى سوء فهم للتعليمات التى وجهها الرئيس السادات لعدد من الوزراء - بينهم وزير الطيران المدنى - بشأن الاستعداد لأى احتمالات مفاجئة قد تقع بين لحظة وأخرى. وقد لاحظ وزير الطيران تصاعد حالة الاستعداد وتوقع باجتهاده الشخصى أن تقوم إسرائيل بضربة مفاجئة وقائية على غرار ما حدث عام ٦٧ واستصوب حماية طائراته من التدمير.

وفى اتصال عاجل بين وزير الحربية ووزير الطيران المدنى

تم تدارك الموقف وإلغاء تعليمات وزير الطيران وعادت حركة الطائرات إلى حالتها الطبيعية بعد خمس ساعات من التوقف الذى أربك حركة المسافرين وحشد الركاب فى قاعات الانتظار.

ولم يكن لذلك أى انعكاس أو رد فعل فى إسرائيل التى لم يتغير الموقف فى تصورها عما كان في اجتماع رئيسة الوزراء واستمرت حالة الترقب المعتادة حتى اختلف الأمر في اليوم التالى.

وبينما كان العسكريون يضعون اللمسات الأخيرة فى خطة الخداع والتمويه كان الرئيس السادات يضع اللمسات الأخيرة فى الخطة السياسية. واستقبل يومها مستشار الأمن القومى حافظ إسماعيل الذى أطلعه على مسودات البيان الذى سيلقى باسم مصر فى مجلس الأمن عند انعقاده المتوقع بعد نشوب الحرب، وكذلك التعليمات التى سيتم إبلاغها إلى وزير الخارجية الدكتور محمد حسن الزيات الموجود فى نيويورك، والذى لم يعرف بعد شيئاً عن الحرب التى توشك أن تقع.

وتم تجهيز قصر الطاهرة ليكون مقراً للقيادة السياسية أثناء الحرب.. وبدأ الرئيس السادات يستعد للانتقال إليه. وأخر الرئيس السادات انتقاله إلي هناك عندما تلقى طلباً عاجلاً من السفير السوفييتى فى القاهرة يطلب مقابلته. وتمت المقابلة فى السابعة مساءً. وقدم خلالها السفير رسالة من الرئيس السوفييتى برجينيف يطلب فيها سحب المستشارين المدنيين وأسرهم من مصر. وكان ذلك موضع استياء الرئيس السادات لكنه لم يستطع رفضه.

وفي اليوم التالى وصلت بالفعل ست طائرات سوفييتية «طراز اليوشن» لتنقل المستشارين وأسرهم إلى بلادهم. وتكرر ذلك فى سوريا.. وعرف به العدو الإسرائيلى واستطاع أن يكسر بواسطته حلقات الخداع مستشعراً الخطر بصورة جدية.. ولأول مرة عندما كان المستشارون السوفييت وأسرهم يتجهون إلي المطار، كان الرئيس السادات يتجه إلى قصر الطاهرة ليخلع ملابسه المدنية ويرتدى الزى العسكري للقائد الأعلى للقوات المسلحة. لكنه لم ينتقل إلى المركز الرئيسى للقيادة إلا ظهر اليوم (ى) السادس من أكتوبر وهو المركز المعروف باسم «الموقع رقم ١٠» غير أن جميع القادة العسكريين كانوا بالفعل يقيمون داخل الموقع رقم (١٠) ما عدا وزير الحربية. ومن داخل الموقع (١٠) تمت مراجعة خطة أولويات العبور طبقاً للأسبقيات المقررة. وبدأ مع يوم الجمعة ٥ أكتوبر (ى - ١) وضع العلامات والأرقام الإرشادية على النقاط المقررة للعبور والتى ستتم إضاءتها بالأضواء الملونة مساء السبت بعد آخر ضوء لليوم (ى).

ومع هذه المرحلة بدأ العدو يفهم مايجرى على الجبهة المصرية وبدأت آثار الخداع تزول تدريجياً.. لكنه لم يتوقع ساعة الحرب وبقيت الساعة (س) لغزاً بالنسبة له.

كانت أولويات العبور تقضى بتقسيم وحدات المشاة المكلفة بالعبور إلى مجموعتين. المجموعة الأولى : هى مجموعة المترجلين الذين يقتحمون القناة فى قوارب مطاطية ثم يتحركون على أرجلهم وبسلالم من الحبال ليصلوا إلى الضفة الشرقية.

والمجموعة الثانية : تضم الوحدات والأطقم ذات الأسلحة الثقيلة التى تنتظر على الضفة الغربية إلى أن يتم فتح الممرات فى السد الترابى وتشغيل المعديات والكبارى. ويتم العبور فوق المعديات والكبارى طبقاً لأهمية كل مركبة وحاجة المشاة إليها وعلى أساس أسبقيات ست أولاها الدبابات وعربات القتال وعربات اللاسلكى والهاونات الثقيلة وبعض عربات نقل الذخيرة. أما الأسبقية التالية فتشمل وحدات المدفعية ووحدات الدفاع الجوى وعدداً آخر من عربات نقل الذخيرة . ويلى ذلك قوات الأسبقية الثالثة من العناصر الإدارية لكتائب المشاه وكتائب المدفعية المضادة للطائرات . والأسبقية الرابعة تتكون من الوحدات الإدارية على مستوى الألوية . وتأتى الوحدات الإدارية على مستوى الفرقة فى الأسبقية الخامسة .

أما الأسبقية السادسة الأخيرة فتضم العربات المخصصة لركوب أفراد المشاه الذين عبروا بالقوارب ويتم تحركها للعبور مع بداية اليوم الثالث في الساعة (س + ٤٥) وكل منها فى التوقيت المعين لها وبالترتيب المحدد.

وهذا الحجم من القوات لم يكن ليخطر ببال القيادة الإسرائيلية وإنما ظل يشكل مفاجأة كاملة لها حتى بعد أن شعرت بما يجرى وبدأت تستعد له وتتحرك لمواجهته.

كانت رئيسة الوزراء جولدا مائير تستعد لمغادرة مكتبها بعد ظهر الجمعة ٥ أكتوبر بعد أن قررت قضاء إجازة العيد بمنزلها فى «برامات أفيف» لتعود إلى القدس صباح الأحد حيث سينعقد

الاجتمــاع المقرر لمجلس الوزراء الإسرائيلى. لكـنها تلقت تقريرا عــاجلاً شـعرت مــعه بكثـير من الخـوف. كان التـقرير يقـول إن طائرات ركاب ســوفييتيــة من طراز اليوشن وصلـت إلى دمشق وإنها تقف فى انتظار عائلات الخبراء السوفييت فى سوريا لنقلهم إلى موسكو، وأن أفراد العائلات السوفييتـية قاموا بحزم أمتعتهم على عجل إستعداداً للرحيل.

وأجرت جـولدا مائير ثلاثة اتصــالات تليفـونية بوزير دفاعــها موشى ديان وبرئيس الأركــان ديفيد إلـيعازر ـ الذى تلقـبه باسم دادو ـ وبمدير الاستخبارات إلى زئيرا. وكان سؤالها إلى كل منهم يدور حــول مـدلول هذا التـقــرير. لكن أحــدا منهم لم يجــزم بأن هـجوماً سـورياً يمكن أن يقع على الفــور، وأن ترحيل أسر الخبراء السوفييت يمكن أن يسبق أية عـمليات عسكرية بأيام أو بأسابيع. واستبعد إليعازر قيـام سـوريا بعمل عسكرى منفرد وأكد أيضاً أن ما يجرى على الجبهة المـصرية هو تكرار لما سبق وما تكرر على مدى شـهور طويلة كان آخرها شـهر مايو الماضي.

ورغم ذلك اتفقوا جمـيعاً على عقد اجتمــاع فى المساء وتأجيل برامجهم السابقــة المعدة ليوم كيبـور. وقررت رئيسة الوزراء أن يكون الاجتمــاع موسعاً وأن يحضــره كل الوزراء الموجودين فى تل أبيب.

واكتمــل الاجتماع فى الســابعة والنصف مساءً بمكتب رئـيسة الوزراء فى تل أبيب، وشـهـده أعضاء الوزارة الإسرائيليــة ومعهم الجنــرال إليــعـــازر رئيـس الأركـــان والجنرال زئـيـــرا مـــدير الاستخبارات.

وبدأت جولدا مائير رئيسة الوزراء الحديث قائلة:

إننى أشعر بالضيق وأستشعر خطراً ينبع من مصدرين أولهما: ما يتردد الآن فى أجهزة الإعلام والصحف العربية حول رفض إسرائيل للسلام الذى يتطلع إليه العرب وتصويرنا فى صورة الذى يستعد للحرب من جديد. والمصدر الثانى: هو خروج أسر الخبراء السوفييت من سوريا على وجه الاستعجال.

إن ذلك سبق أن وقع فى الماضى ويذكرنى بما حدث فى مايو ١٩٦٧ عندما اتهمنا العرب بأننا نحشد قواتنا ضد سوريا. وهذا ما تقوله الصحافة العربية الآن. ويومها قرر العرب توجيه ضربة عسكرية إلينا لولا أن تحركنا في عملية وقائية حققت النصر لإسرائيل.

وتولى الرد حاييم بارليف وزير الصناعة والخبير العسكرى المتخصص فى شئون الدفاع وصاحب فكرة الخط الدفاعى الحصين شرق القناة المعروف باسمه. قال بارليف: إن الأمر لن يستوجب توجيه ضربة وقائية ولا استدعاء الاحتياط الآن. لكن ذلك لا يمنع من إلغاء الإجازات ورفع حالة الاستعداد خاصة في أجهزة الدفاع الجوى مع بقاء الاتصال المستمر قائماً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفاع موشى ديان. واقترح الوزير جاليلى الاتصال بواشنطن قبل بدء إجازة نهاية الأسبوع - غداً السبت - ومطالبتهم بالاتصال بالسوفييت وبالتأكيد على أهمية بقاء الهدوء فى الشرق الأوسط.

وانفض الاجتماع بعد إرسال بلاغات تحذير إلي وحدات الدفاع

الجوى الإسرائيلى ورفع حالة الاستعداد وإلغاء الإجازات دون أى تفكير في استدعاء قوات الاحتياط.

ولم يعد أمام إسرائيل فرصة لتداول الموقف أو مجابهة الخديعة التى وقعت ضحية لها. فقد بدأ العيد، وتوقفت الإذاعات والتليفزيون عن البث وتوقفت معها كل وسائل استدعاء الاحتياط بالطرق العلنية. وساد الجمود كل جوانب الحياة فى إسرائيل ليظل القلق محصوراً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفاع طبقاً لما استقر عليه الرأى فى الاجتماع الليلى من مساء الجمعة.

ولم تستطع رئيسة الوزراء أن تحضر عشاء ليلة العيد التى أعدها ابنها «ميناحيم» وابنتها «وايا» لأصدقائهما وهو العشاء الذى يسبق صيام يوم الغفران - كيبور - واتجهت مباشرة إلي مخدعها فى محاولة للتغلب على الأرق.

وبعد لحظة طلبت مائير من سكرتيرها العسكرى «أليور» أن يستدعى كلا من جاليلى وألون ودادو وديان للاجتماع فى مكتبها قبل الساعة السابعة صباحاً.

وكان ديان مستيقظاً فقد تلقى نفس المعلومات قبل أن تتلقاها رئيسة الوزراء. لقد دق جرس التليفون الأحمر بجوار سريره قبل الرابعة فجراً بدقيقة أو دقيقتين.. وقال محدثه بوضوح كلمات قاطعة:

«مصر وسوريا ستدخلان الحرب ضدنا قبل الغروب. الخبر مؤكد من مصدر رفيع المستوى طلب أن يبلغه بنفسه لرئيسة الوزراء».

وقفز وزير دفاع إسرائيل من سريره ليرتدى زيه العسكرى بسرعة ويتجه إلى مكتبه فى وزارة الدفاع. وقبل أن يغادر بيته طلب رئيس الأركان الجنرال ديفيد إليعازر ليلحق به فى وزارة الدفاع.

وكان «أليور» سكرتير رئيسة الوزراء العسكرى قد أبلغه بموعد اجتماعهم مع مائير. وفى مكتب ديان اقتصر الاجتماع عليه وعلى رئيس الأركان إليعازر وتطرق إلى أربع نقاط:

(١) استدعاء الاحتياط وتعزيز الجبهات.

(٢) توجيه ضربات جوية فى هجوم وقائى.

(٣) إجلاء النساء والأطفال من المستعمرات الحدودية فى الجولان.

(٤) توجيه إنذار إلى مصر وسوريا لدفعهما إلى التراجع والظهور أمام العالم بأن مسئولية الحرب لا تقع على إسرائيل.

وطلب رئيس الأركان موافقة رئيسة الوزراء على استدعاء الاحتياط وتوجيه هجوم وقائى على الجبهتين. ولم يكن هناك اعتراض على استدعاء الاحتياط لكن الضربة الوقائية كانت موضع البحث فى الاجتماع التالى الذى تم عقده بعد ساعة واحد في بيت رئيسة الوزراء والذى عرف باسم اجتماع المطبخ.

واكتمل الاجتماع فى مطبخ بيت جولدا مائير فى الثامنة صباحاً. وتحدثت مائير عن المعلومات التى أبلغها «الصديق الأردنى قائلة : انها معلومات دقيقة لا تستند إلى تحركات

عسـكرية معـينة ولكنها تسـتند إلى معلومـات عن القرار العـربى بدخول الحرب.

وأشار ديان إلى ان هذه المعلومات قد سبق ان جاءت من قبل، وبالذات فى شـهر مايو السـابق وتم اسـتـدعاء الاحـتياط بـكل ما يترتب عليـه من تبعات وتكاليف باهظة دون جدوى. وربمـا تعمد أحد تسريب هذه الـمعلومات بعد ان وجد رد الفـعل لدى اسرائيل لا يتناسب مع التحركات الجارية فى سوريا ووجود معدات عبور تصـاحب كل الوحدات الـمصـرية المـشاركـة الآن فى المناورات التدريبية.

لكن المـجتمـعين لم يتـرددوا فى أخذ الأمر بكل جـدية. واتفق الجميع على حـتمية استـدعاء الاحتياط وفـتح قنوات الاتصال مع أمريكا، واجلاء النساء والأطفال من المسـتعمرات الاسرائيلية على الحدود السورية.

أما عن توجـيه ضربة وقائيـة فقد تم الاتفاق على تأجـيلها مع الإعـداد لها بحـيث تتم على الجـبهـة السـورية فقط وتوجـه إلى قواعدها الجوية الداخلية ونظام دفـاعها الجوى الصاروخى وليس على منطقة الجبهة.

وصدرت الأوامـر باستدعاء قـوات الاحتياط بالطرق التـقليدية وليس بالوسائل العلنية نتيجة توقف الاذاعات والتليفزيون خاصة انه لن يجرى تشغيلـهما يوم العيد لأن أحدا لن يسـتـمع إليهما لان الناس فى اسرائيل تعرف انهمـا لا يعملان فى يوم كيبور.

وقدر رئيس الأركان القـوات التى سيتم انضمامـها إلى القوات

العاملة بين ١٠٠ ألف أو ١٢٠ ألف مقاتل يمكن حشدهم بعد ساعات من بدء الهجوم العربى المقرر موعده قبل غروب شمس ٦ أكتوبر. وقال إن الطيران الاسرائيلى يستطيع ان يبدأ بضربة مباشرة فى المساء حتى لو تراجع العرب عن هجومهم. لكن مائير لم توافق على الضربة الجوية ووافقت على الإعداد لها حتى تتكشف الأمور بوضوح أكثر. وطلبت وزير خارجيتها أبا ايبان فى نيويورك حيث كان يحضر اجتماعات الأمم المتحدة ويقيم فى فندق «والدورف استوريا».

كما استدعت سفير اسرائيل فى واشنطن ـ سمحا دنيتز ـ الذى كان يقضى العيد فى إسرائيل وطلبت منه السفر إلى واشنطن على الفور.

كما طلبت السفير الأمريكى فى تل أبيب ـ كينيث كيتنج ـ ليجتمع معها فى أسرع وقت.

قالت مائير للسفير الأمريكى : إن الهجوم سيكون فى المساء من الجبهتين المصرية والسورية وهذا ما تؤكده معلومات المخابرات وتحليل المعلومات الخاصة بالتحركات السورية والمصرية. ولذلك فإن اسرائيل لن تبدأ بالهجوم فقد يتراجع السادات كما فعل من قبل وقد تتدخل واشنطن ومعها السوفييت. وطلبت من السفير الأمريكى ابلاغ ذلك إلى وزير خارجيته هنرى كيسنجر وإلى الرئيس الأمريكى الذى يستطيع أن ينقل ذلك إلى السوفييت عبر خط التليفون الساخن مع موسكو.

وعندما توجه السفير الأمريكى إلى مكتبه للاتصال بواشنطن

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهر يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣. وكان السؤال الذى يتكرر بصور مختلفة داخل الموقع (١٠) الذى يسيطر على حركة الحرب فى الجبهة المصرية هو: هل عرف الاسرائيليون؟ ومتى عرفوا؟

كان قد تم رصد طائرتى استطلاع اسرائيليتين بالقرب من قناة السويس فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً. لم تعبر الطائرتان إلى غرب القناة ، لكن تجهيزاتهما تتيح لهما الاستطلاع والتصوير من فوق سيناء. ولابد أن تكون اسرائيل قد تأكدت من وجود الجسور ومعدات العبور قرب شواطىء القناة.

لكن الاستطلاع الاسرائيلى رصد أيضاً الجنود المصريين يلعبون الكرة على حافة القناة ، بينما يسبح بعضهم فى مياه القناة نفسها.

ولم ترصد طائرتا الاستطلاع هذا العدد الكبير من مكبرات الصوت المتنقلة التى بدأ توزيعها على الوحدات دون أن يعرف أحد أنها مخصصة، لترديد صيحة «الله أكبر» من خلالها مع أولى موجات العبور.

كما لم ترصد طائرات الاستطلاع وصول وزير الحربية المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل إلى قصر الطاهرة، ليصطحب من هناك الرئيس أنور السادات فى زيه العسكرى لينضما معاً إلى الرجال فى المركز رقم (١٠).

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر كانت الساعة (س ـ ١) عندما

وصل الرئيس السادات والفريق أحمد إسماعيل إلى المركز رقم (١٠) لتُغلق أبوابه الحديدية ويمنع تماماً الدخول إليه أو الخروج منه.

ويتم ضبط جميع الساعات لأقرب ثانية. وترفع جميع خرائط المناورات التدريبية «تحرير ٢٣» لتحل محلها خرائط العملية الهجومية «بدر» وتتوالى الاشارات إلى قيادات الجيش الثانى الميدانى والجيش الثالث الميدانى بانجاز المهام القتالية اعتباراً من الساعة ١٤٠٥ وهى ساعة الصفر (س) من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ (ى).

وتصدر التعليمات للدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الاعلام بتنفيذ الشق الإعلامى للخطة الهجومية طبقاً للمتفق عليه، واعتباراً من (س - ٣٥ق) وهنا تقطع الإذاعة المصرية برامجها في الساعة ١٣٣٠ الواحدة والنصف بعد الظهر لتذيع الخبر التالى:

«جاءنا الآن أن عناصر من القوات الاسرائيلية المسلحة هاجمت مواقعنا فى الزعفرانة، وهذا الهجوم يمثل خرقاً خطيراً لوقف إطلاق النار. وقد تم إبلاغ مجلس الأمن الدولى بهذا العدوان».

وبعد إذاعة هذا النبأ استأنفت اذاعة القاهرة برامجها العادية لتقطعها مرة أخرى فى الساعة الثانية بعد الظهر وتذيع المارشات العسكرية. وعندما بدأت إذاعة القاهرة فى بث الموسيقى العسكرية كانت الأوامر تخرج من المركز رقم (١٠) إلى جميع القواعد الجوية حيث الطائرات على أتم استعداد لتوجيه الضربة

الجـوية المفـاجئـة والمؤثرة إلى جـميع مطارات العـدو ومراكـز قياداته ومناطق حشد مدفعيته فى سيناء.

وعلى ارتفاعـات منخفـضة جدا عـبرت ٢١٠ طائرات مـصرية القناة فى وقت واحد لتطلق قذائفها ونيرانها على الأهداف المعادية فى تمام السـاعة ١٤٠٥ ولتنطلق فى نفس اللـحظة قذائف ٢٠٥٠ مدفـعاً مصـرياً نحو أهدافهـا فى سيناء.. ويسبح فى مـياه القناة أفراد الصـاعقـة والمهندسـين والضفادع مـتجـهين إلى مـخارج مواسيـر السوائل المشتعلة للتـأكد من إغلاقها وعدم قـيام العدو بإصلاح شىء منها..

وفى تلك اللحظة كان الاسرائيليون يستعدون لمواجهة الهجوم المتوقع فى السادسة مساءً عندما انطلقت صفارات الانذار فى كل أنحاء اسرائيل، وتم اسـتدعاء القادة العسكريـين إلى نقطة القيادة الاسرائيلية المعروفة باسم «كدم» والشهيرة باسم «الحفرة» تحت سطح الأرض فى مركز مجموعة العمليات.

وهناك كـان فى انتظار الجـمـيع البـيـان الأول الذى يؤكـد أن المصـريين عبـروا قناة السويس بطول خـط المواجهـة كله تحت ستار نيران أكـثر من ٢٠٠٠ مدفع، تسبقهـا ضربات مركزة على مراكـز السـيطرة والقيـادة والمطارات قامت بهـا أكثـر من ٢٠٠ طائرة مـصـرية وان العلم المـصـرى يرفرف الآن فـوق النقـاط الحصينة لخط بارليف شرق القناة..

وكانت هذه هى البداية..

رقم الإيداع ١٣١٦١/٩٨

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0777 - X

